رواية

فكرة قاتلة

الخيال القاتل

سعيد صالح والحاج

فكرة قاتلة

مقدمة الطبعة الثانية

هل سبق لك أن تخيلت أحدًا ميتا؟... ربما بينما أنت تمشي وحيدا في زقاق ضيق؟... قد يكون السبب ذاك السكين المنغرس في عنقه أو تلك الرصاصة الغائرة في جبهته... المهم أن صورته وهو ميت عبرت بذهنك... إن كان قد سبق لك ذلك فسأرفع مستوى الأسئلة...

هل سبق لك أن تخيلت أحدًا يُقتل وأنت راغبٌ في ذلك؟... ربما عدو لدود ... ربما زميل سمج... ربما مدين خائن... هناك الكثير من الاحتمالات، لا تقل لي إنك بريء ولا ترغب لحظة في موت أحد... ماذا عن لص سطا على منزلك أو بلطجيٍّ أبرحك ضربا؟... حسنا إن أجبت ب " سبق لي " فتقدم إلى المستوى الأعلى من الأسئلة..

هل سبق لك أن تخيلت نفسك تقتل أحدا؟!... تصارعه بالقبضات أو بالسكاكين ثم تتركه جثة هامدة في النهاية، بالطبع ستفوز، حتى لو كان " بروس لي " نفسه فستتغلب عليه لأن هذا خيالك، أنت تتحكم بما يحدث فيه... قد يكون ضحيةُ خيالك رجلا ظلمك أكبر منك سِنًّا أو مكانة أو قوة، أو قد يكون أستاذًا قاسيًا أو متنمرًا بغيضًا.. إن كان قد سبق لك ذلك فها هو السؤال النهائي...

هل سبق لك أن سألت نفسك : "ماذا لو تحقق خيالي؟! "...

لم يسبق لك، أليس كذلك؟ ... حسنا، تعال معنا إذًا لترافق ساذجا لم يضع هذا في الحسبان...

بدأت القصة حين... آه، تبّا!... لقد نسيتُ الإهداء... كيف أغفلت هذا؟!

هذه الرواية مهداة إلى :

أمي التي علمتني كيف أقرأ وأكتب، وأبي الذي لم يبخل علي بالكتب.

- خالي عمر الذي ساعدني فيما يخص المحاكمات.

- خالي عز الدين الذي وفَّر لي وسائل البحث التي لم أكن أمتلكها.

- ابني خالي الآنف ذكره عبد الرحيم ويعقوب، آمل أن تجلب لهما النوم الهنيء والأحلام السعيدة.

- عمي مصطفى الذي ساهم في نشر هذه الرواية، وأسدى لي النصح.

- أستاذي يحي الذي اهتم حقًّا بما أكتبه، وأعانني كما لم يفعل غيره، وأدَّى أمانة التعليم حقّها في إتقانٍ لا نظير له، لك ولقلة غيرك من الأساتذة أقوم تبجيلًا.

حسنا... الآن وبما أننا فرغنا من عادةِ الكُتَّابِ السَّخيفة هذه لنبدأ...
مهلا... ليس بعدُ، علي أن أكتب الملاحظة التي لا لُزُوم لها إلا لبعض الناس....

ملحوظة : هذه الرواية تتعرَّض لقضايا الإلحاد، وتعالج بعض الفلسفات الغربية، وهي لا تُؤيِّد بل تدحض وتنقض الحجج والبراهين التي قدّمها هؤلاء الملحدون، وأنا حين أُعارضها أعرِض أولا ما يقولونه عَرْضًا صحيحًا صادقًا بنفس لهجتهم دون نقصان، حتى لا أترك لهم الفرصة لاتهامي بمغالطة " رجل القش "، ثم أردُّ عليهم بعد ذلك، فلا تتسرَّع وتنعتني بالكافر حين تراني أعرِضُ أفكارهم، وواصل القراءة إلى أن تصل لردِّي، أنا في حياء من هذه الملاحظة، فأنا أتوسّم في القارئ أن يكون لبيبا فيُدرك كلَّ هذا ما إن تقع عينه عليه، ولكِنِّي خشيتُ سوء الفهم والالتباس، ولذا وضَّحت احتياطا، وأنا أعدك – بل أتوعدك – أنك ستندم إن لم تقرأ نهاية هذه الرواية.
حسنا، هل هذا كل شيء؟... إذًا، بدأت القصة حين....

الفصل الأول : اعتراف

- ((...كيف قتلتُهم؟... حسنا، أظن أني أستطيع أن أستعيد ما كنت أفكر فيه وأتخيَّله عند مقتلهم... جوناثان ذلك الوغد البغيض كان قويا، ضخما وبدينا، وكان أيضا نذلا يتنمر على الضعفاء... في يوم الأحد ذاك، أذكر أني ذهبت إلى الثانوية مرتاحا فقد استعددت لامتحان التاريخ جيدا، وكنتُ أعتقد بأني سأحصل على أعلى علامة في القسم وأتفوق على تلك الزميلة اليابانية العبقرية هارونا إيشيكاوا، ما إن رآني جوناثان حتى تقدم مسرعا، وسدد نحوي نظرات ممتلئة بالوعيد وقال : ((ستعطيني الإجابات، أليس كذلك يا جورج؟.. لا تخف، حين يحين الوقت المناسب سيسأل فريد الحارس ويُشتِّتُ تركيزه، وحينها ستُسقط الورقة التي ستنسخ فيها جميع أجوبتك أرضًا، وتركُلها لألتقطها أنا...ما إن تفعل ذلك حتى يكون دورك قد انتهى، يمكنك أن تفعل أي شيء لعين يحلو لك بعدها، نَمْ إن شئت أو حدّق بِوَلَهٍ إلى تلك البلهاء اليابانية، أنا لا آبه، ولكن ليس قبل أن تنسخ الورقة وتسلّمها لي... إيَّاك أن تعصي أمري أو تخونني أيها اللعين... أنت ميِّتٌ إن وشيت بي أو لم تسلِّمني الورقة... مفهوم؟)).

أومأتُ حينها ولعنتُه بعدما غادر... لقد غضبت فبعد أن سهرت إلى ساعةٍ متأخرة من الليل لأراجع دروسي يأتيني أحد قضى الليل نائما – هذا إن أحسنَّا الظن – ويسرق عملي وجهدي بهذه البساطة، كنت حانقا جدا فتمنّيتُ لو أنه وأمثاله لم يولدوا أبدا... أو أن أفيق ذات يوم وأجده وأمثاله قد اختفوا من الوجود، ولم أكن أعلم أن أمنيتي ستتحقق!... أقسم... أقسم أني لم أكن أعلم أنها ستتحقق.

على أيِّ حالٍ، غَشَّشتُه فلم يكن باليد حيلة أخرى... ويوم التصحيح أعطانا المعلم صفرين بالأحمر متماثلين في القطر تماما، قال لنا إن الإجابات

متطابقة وأخبرني أنني خيّبت أمله إذ انحدرت إلى الحضيض... قال لي أنه كان ليعطيني العلامة الكاملة لولا فِعلتي القذرة... ما أحزنني حينها أن هارونا حصلَتْ على نقطة أدنى مما كنت لأحصل عليه... كنت لأتفوق عليها لولا جوناثان الأحمق السفيه الأبله!... لم يعرف حتى كيف يغش ونقل كل شيء بالحرف دون إضافة ولو نقطة أو فاصلة)).

- ((هاي!... أنت تتكلم عن ميت أيها الوغد، ميت قتلتَه ولم يمض على دفنه أسبوع لذا أمسك فمك أيها القاتل!)).

- ((آسف يا سيدي، على أيّ حال بكيت حينها وتوسلت الأستاذ الصفح والعفو، ولكنه لم يلِن فاضطررت للوشاية به، وأخبرته أمام أعين جوناثان الممتلئتين بالوعيد أنه هددني ليحصل على الإجابات، وحينها نِلت العلامة الكاملة ونال هو احتجازا واستدعاءً... وما إن رنّ الجرس حتى خرجتُ راكضا لأنجو بحياتي، كنت ألتفت إلى الخلف لأتأكد من أن جوناثان لا يلاحقني، لم يحدث لي شيء ذلك اليوم، رجعتُ إلى المنزل وأريتُ العلامة لأمي فهنّأتني وأعربت عن فخرها بي واشترت لي كعكة بطعم الفراولة، وهو واجب عليها كما تعلم فأنا لم أطلب منها أن تحبل بي، ولا رجوتها ألا تتناول حبوب منع الحمل)).

- ((مهلا، ماذا قلت؟ أتتكلم بهذه الطريقة عن أمك التي حملتك تسعة أشهر ثم وضعتك مُتكبِّدةً أشدَّ الآلام عذابا؟ لو كنت مكانها لخنقت الرضيع الذي تسبَّب لك بكل هذه المعاناة مباشرة بعد ولادته لترتاح من عناء رعايته، أليس كذلك؟ ولكن هي ماذا تفعل؟ تُرضعك لبنا، وتناغيك، وتهدهد مهدك، وتُهوِّدُ لك الأغاني حتى تنام، ثم تردُّ لها الجميل بقولك : ((لم أقل لها لا تتناولي حبوب منع الحمل)).

- ((لن أجيبك بما أعرف، بل سأقتبس لك مما قال الفلاسفة، "جين إنجلش"[1]، أتعرفها؟ إنها فيلسوفة أمريكية معاصرة، وهذه وجهة نظرها التي

---

[1] جين إنجلش (jane english) : فيلسوفة وعالمة فيزياء معاصرة.

أتفق فيها معها تماما، رعاية والدينا لنا ليس دينا علينا يُتوقّع منا ردُّه، فقد كنا في عمرٍ لا يسمح بقبول أو رفض تلك العناية، فنحن لم نطلبها فكيف نُطالب بردِّها بمثلها؟ فالبر وطاعة الوالدين إذن يجب أن تكون نابعة من حبّنا لهما فقط، فإذا لم يحب الابن والديه فليهجرهما ولا حرج عليه، وإذا ما رعيتُ أُمِّي حين تكبرُ فسيكون ذلك تفضُّلا لا أكثر؛ وسيكون من حقِّي متى شِئتُ أن أخلع عطائي عنها كما خَلَعتُه عليها قبل ذلك؛ وأُلقيها في دار عجزةٍ تتولَّى رعايتها، لا تُسئ فهمي فأنا شاكر لأمِّي على الكعكة، ولكن هذا لا يعني أن علي الآن شراء كعكة ميلاد لها كل عام، ما إن أكبرَ وأستقِلَّ ببيتي وحياتي حتى تصير شخصا آخر، أقرب إلى زميل قديم حين تراه تُسلِّمُ عليه وتمضي، ألا تبدو لك هذه الفلسفة منطقية؟)).

- ((تفلسف سقراط ونسي أن يحلِق لِحيته،[2] لستُ هنا لآخذ محاضرات في الفلسفة منك يا فتى، هيّا، أسرع وأكمل اعترافك)).

- ((سقراط لم تكن له لحية بالمناسبة)).

- ((لا أبالي إن كانت له لحيةٌ أو لم يكن له شاربٌ، أو كان له خالٌ أو لم تكن له دمامل، كل ما يهمُّني الآن هو...)).

- ((أعرف، أعرف، الاعتراف، ماذا كنت أقول؟.. آه، أجل، أمضيتُ أمسية رائعة، ونمتُ نوما هنيئا، ولكن في الصباح بينما كنت خارجا من الثانوية، فوجئت بمن يسحبني من حقيبتي ويطرحني أرضا، التفتتُ للأعلى فإذا هو جوناثان وقد احمرَّ وجهُه من الحِنقِ، وامتلأت عيناه بالحمم، كانت شفته متورِّمةً وعينه منتفخة بنفسجية، صرخ فِيَّ : ((أيها الجرذ[3] الواشي القذر!))، ثم انهال عليّ بالركلات، على بطني وصدري وفخذي وخصيتيَّ وحتى رأسي وعنقي، لم يتوقف إلا وهو يلهث من التعب وأنا أكاد أموت من الألم، عدتُ إلى منزلي ذلك اليوم وأنا أعرج، وفي طريقي لعنته وسببته وتمنيت موته وأنا أبصق الدم مع كل كلمة، تخيّلته فجأة... تخيّلتُ وجهه المدوَّر السمين،

---

[2] تعبير من ابتكار الكاتب معناه : دعك من الفلسفة العديمة الجدوى واشتغل بما يفيد.

[3] الجرذ (rat) تطلق على الواشي في العامية الأمريكية.

وابتسامته اللزجة، وعينيه الطُّفوليتين، وقَصَّتُه السخيفة، وقبّعته المقلوبة، ورائحته الكريهة، وبطنه السمين، وعنقه الثخين، وشعره البُنِّي الذي يُسرِّحُه للخلف آملا في اجتذاب الفتيات، تخيلته واقفا أمام مرآة الحمام ببنطلونه الأسود وقميصه الأبيض المكتوب عليه " وي روك وايلد "[4]، وبدت الصورة في عقلي حيّة حقيقية إلى درجة مخيفة... ثم تصوّرته يرمق المرآة في هلع ويُحسُّ بها تصعد لأعلى حلقه، تصعد مصاحبة الروح التي ستغادره عمّا قريب، تخيَّلتُه يلمس عنقه في توتر ويُخرج لسانه ليتأكد والجزع بادٍ عليه، وكيف لا يجزع بينما هو يشعر بألف من السيقان الدقيقة القصيرة تركض متسلقة بلعومه؟!! ... تخيلته يرمق في رعب لا يوصف، ذلك الزوج من السيقان الذي برز من سقف حلقه وبعث في نفسه الغثيان، تخيلته يحدق في تلك الذبابة التي اندفعت مُحلِّقة من فمه تلحقها ثلاثة من البعوض، ثم صفٌّ من النّمل الذي جرى على لسانه وأسنانه ليخرج من بين شفتيه، تخيلته يبصق في تقزز واشمئزاز وهو يفكر: *أنا أهلوس... لا بد أن المرآة تكذب أو ربما هي عيناي اللتان تكذبان، لا بد أني تحت تأثير مخدر.* تخيلته يحشر إصبعا داخل فمه، ثم يخرجه بسرعة خاطفة حين يلمس الجعران الذي برز من أسفل الحلق مدحرجا كرة من روث الفيل على لسانه!!!... تخيلت معدته التي تضطرب فتدفع به إلى القيء، ولكن الطعام الذي لم يكتمل هضمه لم يكن ما أفرغه بل...

عشرات الحشرات!!!... تقفز من حلقه، بعضها يتسلق سقفه، وبعضها يطير مصطدما بلحم الخدين، وبعضها يمشي على جدار الأسنان، وواحدة بالذات تعلقت بالجرس أعلى حلقه، خنافس صغيرة سوداء، عناكب مشعرة بيضاء، والعناكب لا تنتمي إلى الحشرات بالمناسبة، ولكنها مرعبة ولهذا تخيّلتها... كان هناك زوجان من " عناكب الحديقة " المخططة كالنمور، كان هناك أيضا واحد من " عناكب الخيط الذهبي" الذي ينسج شباكا صفراء ذهبية،

---

[4] عبارة " we rock wild " : لا معنى محددا لها، قد تكون متعلقة بموسيقى الروك أو مرتبطة بهندامه.

وكذلك" عنكبوت زهرة العصا الذهبيةِ " الفاقع الصُّفرة.. بالمناسبة، هل تعلم أن العنكبوت يمتص ما بداخل الحشرات ويتركها جوفاء كما يفعل الطفل تماما؟!)).

- ((ماذا؟!... طفل يمتص الحشرات؟!!!)).

- ((لا... أنا أقصد أنه يُفرغ الحشرات من عصارتها كما يُفرغ الطفل علبة العصير من عصيرها... هل لاحظت الشبه الغريب؟... لقد كنت دائما متعصبا للعلم كما كانت أمي، لا أؤمن بغير المرئيات كالملائكة والإله والأشباح وغيرها... ولكني حين رأيتُ بنفسي الخيال يقتل الناس تزعزع رأيي القاطع في الميتافيزيقا بعض الشيء، وصرتُ لا أدري... مثلا، هل لاحظت يوما أنّ العناكب تشبه أربعة رجال متكئين كلهم ظهرا لظهر؟)).

- ((كيف؟!)).

- ((أعني، انظر إلى كل زوج من أرجلها، ألا تشبه سيقانا بشرية؟... ربما أولئك الرجال أنصافهم السفلية ظاهرة للعيان، وأنصافهم العلوية شفافة غير مرئية وغير محسوسة... أنا لا أمزح... تمعَّن في العناكب جيدا وستلاحظ ذلك...مهلا، لقد وجدتها... ماذا لو كنت أنا الاستثناء؟ أنا الحالة الشاذة **الوحيدة** الخارقة لقوانين الطبيعة والشاذ لا يُقاس عليه، بهذا يمكنني أن أطمئن إلى أفضلية العلم على كل شيء غيره مجددا، يبدو هذا حلا معقولا لمعضلتي، حلّا ينقذني من الشكوك التي تتربص مستعدة لتنقض على معتقداتي ويقينيّاتي... مهلا.. لقد خرجت عن الموضوع، ماذا كنت أقول؟... آه، أجل... كانت الحشرات تقفز وتجري وتطير داخل فمه محاولة الخروج كالكافرين في الجحيم يتسابقون نحو بوابة تركها الزبانية مواربة، أنواع عديدة تتدافع نحو الشفتين كالمتفرجين نحو مخرج الطوارئ في دار سينما مشتعلة، نمل الجيش ونحل العسل القزم، سوس النخيل الأحمر وديدان القز و...)).

- ((توقف!... توقف عليك اللعنة!!!)).

- ((حسبتُ أن علي أن أعطيكم التفاصيل الصغيرة لتقتنعوا بما أقوله)).

- ((حسنا، يمكنك أن تكمل قصتك البشعة إن أردت، ولكن أجبني عن هذا السؤال أولا، أأنت مهتم بالحشرات؟... أسألُ هذا لأني أسمعك تُدلي بأسمائها وأوصافها وألوانها دون الحاجة إلى مهلة للتذكر والتفكير)).
- ((نعم، أنا مولع بالحشرات، وقد بدأت في تجميعها مذ كنت في الثالثة عشر ولدي منها خمسة وعشرون نوعا، وكنت أهدف لجمع خمسين... أذكر أنه... في ذلك اليوم الذي سحقها فيه...)).
- ((عم تتحدث؟)).
- ((ذات يوم قتل جوناثان الحشرات التي جمعتها من فناء الثانوية ووضعتها في برطمان... سحقها في قسوة ثم التفت إليّ أنا وأصدقائي الذين يستضعفهم وقال : ((أنتم كهذه الحشرات... لا شيء أسهل من سحقكم))، نعم، لقد قالها فقد كان وغدا وأعتقد أن تلك الحادثة وكرهه الشديد للحشرات واشمئزازه منها هو ما دفعني إلى تخيله يموت بتلك الطريقة... كانت طريقة بشعة أعترف بهذا، وأعيد وأكرر أنني كنت أتخيل فقط غير عالم أن هذا يمكن أن يتطور إلى شيء أكبر كجريمة قتل)).
- ((أكمل يا جورج فقد صدقتك)).
- ((حقا؟... شكرا سيدي... في النهاية تصورته يخمش عنقه في جنون حتى يجرح نفسه، يفعل ذلك لأنه لا يقدر على تحمُّل الشعور بعدة سيقان تتسلق حنجرته من الداخل، تصوّرتُه يشرب الماء ويبلع، ولكن ذلك لم يوقف صعود الحشرات، تخيلته يبصق ويصيح بصوت مخنوق، فيما وجهه يلتوي في امتعاض وجسمه يرتجف في خوف، تخيلته يبكي مرتعبا مما يحدث، فما يحدث ببساطة شيء خارق للطبيعة لا قدرة له على إيقافه، تخيلته يحشر إصبعين في فمه محاولا انتزاع كل الحشرات الصغيرة العالقة بين أسنانه، ثم رأيته يكاد يفقد وعيه من شدة الهلع حين تحركت ثلاثمئة ساق لتخرج من البئر المظلمة المليئة بالأهوال التي تمثلها فتحة حلقه، تصورته يسحبها بينما هي تلدغ إصبعيه بفكّيها وتتلوى محاولة الفرار، تشبه الأفعى في شكلها

وتمايلها، أفعى ولكن بسيقان، تصورته يرمقها وثلثها متدلٍّ من ثغره، وثلثها الآخر في فمه مُلتفٌّ يرقص بأرجل مجنونة على لسانه وحول أسنانه، وثلثها الأخير لا زال في حلقه لم يخرج بعد، لم يكن جوناثان ليعرف حينها أنه ينظر إلى أكبر نوع من " أمِّ أربعة وأربعين " في العالم، وكيف له أن يعرف وهو الأحمق اللعين الذي لا يهتم بشيء سوى الأكل والتنمر على الضعفاء والتبجُّح أمام الفتيات؟!)).

- ((قلت لك لا تتكلم بهذه الطريقة عنه... الفتى جثة تتعفن الآن وهذا بسببك!.. أكمل فما زلت لم تذكر التفصيلة التي ستقطع شكنا باليقين)).

- ((حين كان ممسكا بأم أربع وأربعين مذهولا على وشك أن يفقد عقله ووعيه، تحرّك شيء داخل أنفه جعله ينسى كل الحشرات التي خرجت من حلقه وجرت على لسانه... شاهد بجنون في المرآة منخره ينتفخ شيئا فشيئا بينما يشعر بذلك الشيء المحتبس فيه، تمخط دون إرادة منه فبرز رأس وردي من فتحة أنفه، كان يرغب في التوقف، ولكنه لم يستطع فتمخّط مرة أخرى بشكل أشدّ لتندفع تلك الدودة الطويلة من الفتحة!.. دودة الأرض الوردية اللزجة وهي تتحرك بحثا عن التربة مسكنها الطبيعي... رآها تزحف على جانب وجهه، وتنحرف حول فمه المفغور، قبل أن تستشعر الخطر من أمِّ أربع وأربعين العملاقة، وتعود زاحفة على خدّه إلى خلف أذنه بشكل متمايل متموج، وفجأة حدث شيئان في نفس اللحظة فلم يتركا له المجال للصراخ، أحسّ بمقلته تجحظ وكأنها باب يحاول أحد اقتلاعه من الداخل، هكذا شعر بها قبل ثانية من طيرانها محلّقة لترتطم بالمرآة وخلفها سيل قصير من الدموع الدموية، رمق المشهد بالعين الأخرى في صدمة وخدر، قبل لحظة واحدة كان يمتلك عينًا يشكُّ في أنه يهلوِس بها، وبعد لحظة أصبح يراها خارج محجره الدامي، فجأة برز من المحجر ساق حشرة أحمر ينضح بالدم، احتبس صراخه في حلقه حين اختنق لوهلة، أمسك عنقه وصاح فلم يخرج إلا صفير هواء خافت عبر المساحة القليلة التي تركها ذلك

الشيء الذي سدّ بلعومه، تخيَّلتُه يحس به كشعور مجرم - محكوم عليه بالإعدام - في القرون الوسطى بالرمح الذي يخوزقه ويخرج من فمه[5]، جلس أرضا مسندا ذراعه إلى الجدار موشكا على الموت لانعدام الأكسجين، ازرقَّ وجهه وهو يجاهد ليبلع أو يبصق ذلك الشيء العالق في عنقه. ثم انطلق إلى الحوض من جديد مصارعًا للبقاء حيا، فكّر في شرب الماء كحلٍّ أخير علّ الشيء الذي يسبب الانسداد ينجرف مع الماء إلى معدته، ولكن حين فتح فمه رأى ما لم يتوقعه...!!

صرصور أمريكي ضخم الحجم مسنَّنُ السيقانِ يهتزُّ شارباه ويجلدان اللسان فيما يحاول هو – الصرصور – إيجاد مهرب بينما كُلّابان يحاولان الإطباق عليه، كُلّابان لم يكونا لسرطان بل كانا لعقرب، عقرب أسود كبير كان يلاحق الصرصور عبر المريء فانسدّ في الحلق الضيق، تخيلتُ العقرب يحاول حشر نفسه داخلا باستماتة فيما يلدغ مواضعا داخل عنق جوناثان، تخيلتُ العقرب يُطْبِق بدلا من الصرصور على الجرس في سقف حلق جوناثان، يضغط عليه ويجذِبه ويلويه بشدّة، تخيَّلتُ جوناثان يعاني أقصى درجات العذاب والهلع والاشمئزاز وهو يجثو، ثم يقع مختنقا، بينما يخبو النور من عينيه الطفوليتين، وتبتلُّ تسريحته الخلفية القبيحة في بركة ماء على أرضية الحمّام و...)).

- ((هذا يكفي!... ماذا فعلتَ بعد ذلك؟)).

- ((لا شيء، رجعتُ إلى المنزل فسألتني أمي عن سبب الإصابات فأجبتها أني تشاجرت مع أحد في الثانوية، قامت بعدها بأخذي للطبيب، ومضت الليلة كئيبة حزينة عكس سابقتها)).

- ((إذاً، خرجتَ من الثانوية في الثانية عشرة ووصلتَ إلى المنزل في الواحدة، ذهبت إلى المستشفى بعد وصولك للمنزل مباشرة، ولبثت هناك نصف ساعة، حيث قام بخياطة جراحك وتضميدها، ووصف لك مسكنا للألم، ثم

---

[5] إحدى أشنع طرق الإعدام التي عرفها الناس قديما، وقد اشتُهر بها فالاد الوالاشي.

أخبرك أن تزوره أسبوعيا لتغيير الضمادات)).
- ((هذا صحيح سيدي)).
- ((ماذا كنت تفعل ذلك المساء؟)).
- ((لا شيء هامّا، استلقيتُ بعد أن تغيّبتُ عن الثانوية وهو أمرٌ نادرا ما يحدث، ثم كتبتُ في مذكرتي كم أكره ذلك الوغد وكيف أنوي الانتقام منه، دارت بعض المخططات ببالي كلها بدت غير مرضية، ليس بنفس الرضى الذي جلبه تخيُّل جوناثان ميتا في الحمام والحشرات تجري خارجة من فمه!.. أمم... أذكر أني شغّلتُ التلفاز وشاهدت بضعة أشرطة وثائقية عن أفاعي الأناكوندا، وعلى ذكر الأفاعي، أظن أني قرأت الفصل الأول من رواية الرعب " لسانها مشقوق " والتي بدت رومانسية بشكل غريب في البداية... ثم استسلمت أخيرا للنوم، ولم أستيقظ حتى اليوم التالي حيث صار بإمكاني العودة إلى الثانوية)).
- ((أَيْ أنك لم تخرج من بيتك وتذهب إلى منزل جوناثان؟)).
- ((لا، ولماذا قد أفعل ذلك؟!.. هل تظن أني قتلته جسديا عبر طرق القتل المعروفة؟.. أبعد كل ما ذكرته لك لا زلت لا تصدقني؟!... لا... أؤكد لك أن الأمر لم يكن كذلك، وإلا فما هو تفسير الحشرات التي خرجت من فمه؟!)).
- ((سأفكر في ذلك لاحقا... أخبرنا الآن عمّا وقع في اليوم التالي حين ذهبت إلى الثانوية)).
- ((حسنا سيدي... ذهبت أمي معي في الصباح فأبي متوفى كما لا بد توقعتم، كانت غاضبة، أرادت إخبار الأستاذ بالاعتداء الذي تعرضت له، وحين وصلت خاب أملها حين قال لها مستر جايكوب أن جوناثان لم يأت، ولكنها ارتاحت حين أعلمها بأنه قام باستدعاء أبيه وسيخبره بالتعدِّي، ويحرص على تلقِّي المشاغب لعقابه الذي يستحقه... تعرّضتُ ذلك اليوم لمزيج من السخرية والتعاطف، ولكنني لم أنزعج كثيرا لأنّ هارونا أعارتني دفتر ملاحظتها لأنقل ما لم يكن صديقي الوحيد ألبرت ليستخلصه أبدا من حديث

المعلم... في المساء حين عدتُ إلى الثانوية رفقة أمي سمعنا عن الحادث... كانت صدمة لكلينا حين أخبرنا الأستاذ أن جوناثان وُجد ميتا، غطّت الصحيفة المحلية المسائية مقتله الغامض والمريع ونشرت صورته في صفحتها الأولى بعنوان " الفتى الذي سَكَنَتهُ الحشرات! "... أخبرنا... أخبرنا والارتياع يعلونا كيف أنهم حين فتحوا فمه وجدوا عناكبا صغيرة منهمكة في نسج شباكها داخله، كما عثروا على يرقات لأنواع متعددة من الحشرات، وفيما بعد علمنا أن المدرس كان رفيقا بنا في الحقيقة وأعفانا الكثير من التفاصيل التي ظهرت في المقال... مثل... مثل أنهم.. أنهم شقُّوا بطنه فانبثق من الداخل خمسون نوعا مختلفا من الحشرات الميتة)).

- ((لابد أنك أغبى قاتل رأيته في حياتي يا جورج... في البداية تأتي لتعترف بجرائمك، ثم تخبرني بتفاصيل الحادثة لتقنعني بأنك أنت من نفذت الجريمة، ثم بعدها تصرح لي أنك قرأت التفاصيل في الجريدة)).

- ((لا... أنا ذكي، إياك أن تقول العكس عني ثانية، دعني أُذكِّرك بأني قدمت تفاصيل أكثر وأدق من الجريدة، فالصحيفة لم تعلن عن أنواع الحشرات التي عُثر عليها في داخل الجثة بينما أدليتُ أنا بأنواع نصفها وذكرت ألوانها وأحجامها حتى، يمكنكم التحقق بما أنكم تسجلون اعترافي على الشريط)).

- ((تقول لي أنك تخيلت الحشرات بأنواعها المختلفة وألوانها المتنوعة وأحجامها غير المتماثلة!.. تريد مني أن أصدق أنك تصورت كل هذا داخل عقلك!)).

- ((نعم... لقد فعلتها، فنصف تلك الحشرات كانت ضمن مجموعتي، اعتدتُ أن أطّلع عليها كل صباح وكل ليلة، اعتدت أن أتحسسها وأحملها وأتأمّلها من مختلف الزوايا، بالطبع أستطيع أن أتذكر مظهرها بعد كل هذا كما أن لدي... ماذا أسميها؟... لنقل أن لدي " ذاكرة فوتوغرافية ")).

- ((ذاكرة فوتوغرافية؟)).

- ((لنقل أني أستطيع أن أتخيل الأشياء بتفاصيلها الصغيرة... أستطيع أن

أتخيل المنزل العتيق المهجور بكل شباك عناكبه المتربّة، ونباتاته الذابلة)).
- ((حسنا، قبل أن ننهي قضية الجريمة الأولى لدي سؤال أخير... كيف كان شعورك حين علمت بأن مقتل جوناثان يطابق ما تخيلته تماما؟)).
- ((الفزع... الفزع والصدمة... حين أدركت أن جوناثان مات بنفس الطريقة التي تخيلتها شعرت بصدمة شديدة، ولكني أقنعت نفسي أنها لم تكن إلا مصادفة... أمي ملحدة وكذلك أنا، ونحن لا نؤمن بالإله ولا بالشياطين ولا بالملائكة... نحن نؤمن بالعلم فقط، وإذا رجعت إلى العلم فلن تجد بالطبع شخصا مات بسبب الخيال أبدا... لذا لا بد أنها مصادفة، هذا ما أقنعت به نفسي... احتماليةٌ يمكن أن تحدث مرة في المليون... احتمالية أن يتطابق الخيال والواقع... وبالطبع لم أخبر أحدا بذلك ولا حتى أمي... كان ذلك سرا فظيعا من الأسرار التي تأخذها للقبر معك... أظن أن كل الناس لديهم أسرارٌ لا يخبرون بها أحدا... إنها أسوأ ذكرياتهم، تُمثِّل عارهم وربما جُرمَهم، حتى أكثر الناس طيبة لهم هذا النوع من الأسرار الذي لا يفشونه لأحد)). - ((حسنا، لقد أفشيتَ سر الأسرار للتو، فما الذي دفعك لذلك؟)). - ((أريد أن أتوقف... لا أريد أن أتسبب في مقتل شخص آخر، وأعتقد أنكم ستعينونني على ذلك، أليس هذا صحيحا؟)). - ((بلى، بالتأكيد، بالتأكيد، والآن دعنا من القضية الأولى ولننتقل إلى جريمتك الثانية... جيمس ويليامز)). - ((كان يوم الثلاثاء الرابع من ماي، وكانت **الصدمة** ما تزال **ساريةً** في الثانوية، ولا، لستُ أقصد أن ساريةِ العلم تُدعى ب " الصَّدمة "، تلاعب لفظي[6]، أليس رائعا؟ كنت أقول أن الصدمة سَرَت في الثانوية والمدينة بأكملها من موت جوناثان بتلك الطريقة، وأدرك الجميع أنها لم تكن وفاة طبيعية... وحين انتهى الدَّوامُ ذلك اليوم واجهني جيمس في الخارج... كان جيمس من أتباع

[6] تلاعب لفظي (word play) : حين يكون للجملة الواحدة أكثر من معنى.

جوناثان المخلصين... لا، لن أقول أصدقائه، فالأصدقاء لا يطيعون أصحابهم طاعة عمياء كما يطيع ذاك الأحمق جوناثان... في تلك المواجهة استطعت إدراك الغباء والحمق في وجهه كما فعلتُ حين رأيت جوناثان لأول مرة... قال لي جيمس أنني النَّحس الذي سبَّبَ موت جوناثان... قال لي أني صلَّيت للرب ودعوتُه أن يقتُله... أجبتُه أنِّي مُلحدٌ لا أُصلِّي ولا أُؤمن بالرَّب حتى... ولكن يبدو أنه لم تكن هناك إجابةٌ في العالم يمكن أن تُوقِف غضبه الأعمى... أمسك بي بعدما لاحقني وأبْرَحَني ضربًا، وكان يرفعني إلى الجدار ويخنقني حين صاح به رجل أن يتركني... ولقد فعل... تركني بعد أن بصق في وجهي... وكذلك اليومِ حين ضربني جوناثان، رجعت إلى المنزل وأنا أكاد أبكي من الإهانة والظلم... وفي الليل حين كنت مستلقيا في سريري تذكرتُ... تذكرت أوشامه التي كان يتفاخر بها... كان لجيمس ثلاثة أوشامٍ يريها في فخر لنا ويقول : ((ما رأيكم؟))، وكان علينا أن نَرُدَّ ب " رُجُولّي " وإلَّا لَكَمَنا حتى الموت، واحد أعلى ذراعه يُمثِّل تِنّينًا يابانيًّا أُفعوانيًّا، ثلاثي المخالب، وعديم الأجنحة، يطير بشكل ملتف حول غيمة يقطعها الرعد، ويهطل منها المطر، أشكُّ أنه اختار ذلك الوشم في بداية السنة ليجذب هارونا، ولكنها لا بد تنظر إلى الجوهر لا المظهر، ولا بد أنها رأت فيه شابا أحمقا متنمرا، لا لياقة له ولا لباقة، رسب ثلاثة مرات متتالية، لا بد أنها رأته غبيا كال...)).

- ((كم مرّةً قلتُ لك ألا تتحدث بالسوء عن الموتى)).

- ((لستُ أتحدث بالسوء... أنا فقط أقول الحقيقة، والحق يقال أنهم كانوا سيئين... الكلام أو عدمه لن يغير هذا)).

- ((حسنا، بما أن الكلام أو عدم الكلام سواء فأنا أفضّل ألّا تتكلَّم... كنت تقول عن الوشوم...)).

- ((الوشم الثاني على معصمه يمثل جمجمة... الكل يحب رسم الجمجمة، تجعلهم يبدون مميتين، خطرين، مرعبين، والوشم الثالث كانت كلمةً... كلمةَ " عِصابة " وحولها عشرون دمعة... قرأتُ ذات مرّة أن وشم الدمعة في

العصابات يعني موت أحد الأصدقاء، أشك في أن ذلك الولد مات له عشرون صديق فهو لا يمتلك حتى عُشر ذلك العدد منهم... حسنا... قد تتساءل لماذا أذكر أوشامه الآن... أذكُرها لأن مرأى وشم الجمجمة بالذات حين كان يرفعني ويخنُقني إلى الجدار هو ما ألهمني بالفكرة... الفكرة المرعبة القاتلة!)).

- ((تقصد أنك كنت تفكر في قتله بينما هو يخنقك؟)).
- ((لا، لا... كيف يمكنك التفكير بينما أنت تجاهد للتنفس؟!!... لا، لم أُفكِّر في ذلك حينها ولا حتى في الليل بل تذكرته مجدّدًا لاحقا... تذكّرت مرأى الجمجمة فبدأتُ التخيُّل)).
- ((أين بدأت التخيُّل؟)).
- ((نفس الشارع الذي قتلتُ فيه جوناثان بتخيلاتي)).
- ((هل يمكنك إعطائي عنوانه؟)).
- ((نعم... إنه شارع " ليمونا " المهم أني بدأت التخيل... تخيّلتُ قرطه الأسود في أذنه اليمنى، والندبة في خده الأيسر، تخيَّلتُ اللون الأصفر الذي يصبَغُ به الجانب الأيمن من شعره، والسّوار الذي يضعه على معصمه الأيسر، تخيلت عينيه اللوزيتين وقصبة أنفه الطويلة، وحبَّ الشباب الذي يجعل وجهه يبدو كما لو أنه سماء لا تزينها النجوم بل تجعلها قبيحة، تخيلتُ رائحة العطر النفّاذ الذي يضعه والذي لا يخفي مع ذلك رائحة السجائر الخانقة، تخيلتُ حاجبيه المشقوقين، تخيلتُ فمه ذا الأسنان المعوجة التي تراها حين يفغر فاهُ ليبصق، تخيلتُ كل هذا منعكسا لعينيه حين كان يحدّق في المرآة، ثم رأيتُ كل هذا يختفي في الظلام حين انقطعت الكهرباء فجأة، تصورته يجفل ثم يحاول البحث عن قميصه الذي خلعه ليلقي نظرة على عضلاته، ثم تخترق صرخته الظلام، صرخة ألم يطلقها ممسكا ذراعه ثم يلتفت إلى المرآة ليرى ذاك الوهج البرتقالي كجمر متّقد، ينزع يده ليرى الكلمات الملتهبة أعلى ذراعه :((أهلا!)).

مشدوها يحدق في ذراعه الجزء الوحيد من جسده الذي يظهر بوضوح على المرآة بعد أن أنار بشرتها الوشم المشتعل، يحدق في الكلمات الوهاجة وهي تتلاشى قبل أن تعلو صيحته مرة ثانية : ((تبا!))، يصرخ بها حين تشتعل حروف أخرى كبيرة متجعدة برتقالية على يده، فيرفعها للمرآة والألم يكاد يقتله.

((لنلعب!))، يشرَع في الصراخ لاعنا متسائلا عما يحدث، فتظهر كلمة أخرى على صدره بين حلمتيه لتُؤجّج مع توهُّجها الجحيم على جلده، يشعُر كما لو أنّ أحدًا قذف به في أتونٍ مشتعل، أو صبَّ عليه دلوًا من البنزين، ثم صبّ عليه دلوا آخر من الزيت وأتبع كل هذا بعقب سيجارة. ملتهب، محترق، هذا ما كان يحس به وهو يصرخ مغلقا عينيه قبل أن يفتحهما ليرمق تلك الكلمة المقلوبة : ((القاعدة بسيطة)).
كتبتُها له، ثم جعلت الرسالة الجهنمية الأقصر من برقية تختفي، لتظهر واحدة أخرى فوق سُرّته : ((أنا آمر وأنت تطبِّق)).

صاح بعد أن توقف عن الصياح!... صاح سائلا بهلع : ((من أنت؟)).
أجبته فورا : ((الواشم))، جعلتُها تلمع بالأحمر والبرتقالي والأصفر على خدّه وتخيلت حينها صوت استعار الجلد ورائحة اللحم المحروق المشوي، دار جيمس مرتين حول المرحاض وهو يصرخ وقفز في البانيو دون أن يدري وسجد داخله!... فعل كل هذا حين انسكبت عليه فجأة دِلاء ساخنة من العذاب.

- ((توقف... توقف... آعع!... توقف أرجوك))، تصوَّرته والدموع تتساقط على خديه والألم يبدو جليًّا على وجهه، تخيلته يصيح بذات الكلمة التي توسَّلتُه بها حين كان يركلني قبل أن يرفعني ويخنقني للجدار، وشعرتُ بلذّة الانتقام... شهوة الثأر كانت تأكل حينها بنهم ولا تشبع، وكلما أنهت طبقا صاحت هل من مزيد!

"توقف"؟!... الوقت ما زال مبكرا أيها الوغد... سنلعب كثيرا!... أوه، نعم سنفعل!

فكّرتُ بهذا قبل أن أدمج الواقعية بخيالي، بالطبع سيسمع أحدٌ صراخه، تخيلتُ حينها أحد أصدقائه يطرق باب الحمّام ويسأل بحذر : ((جيمس، هل أنت بخير؟... الكهرباء انقطعت وقد سمعتك تصرخ)).

- ((آعع!... نعم... أنا بخير!.. بخير... سقطت أرضا فقط...)).

- ((حسنا... سأذهب لإحضار مصباح يدوي)).

- ((هيا، اذهب إذن... اذهب عليك اللعنة!)).

((فتى مؤدب))، تخيلتها موشومة على كفه، العبارة التي تستخدم لمدح الكلاب، كانت انتقاما رائعا!... لقد أمرته بعدم إخبار صديقه بأي شيء وإلا سأملأ جسمه بالوشوم وحين أجعلها تشتعل سيصبح مصباحا مثاليا ولن يجد صعوبة في إيجاد قميصه، ولقد خاف وارتعب ونفَّذ، *والآن لنبدأ لعبتنا*، فكَّرتُ بها ثم تخيّلتُ أحرفا أخرى مشتعلة تظهر، صرخ من الألم ثم فتح عينيه ليقرأها بسرعة، لا بأس... إنه يتعلم، لقد تعلّم أنه كلما قرأ الرسالة أسرع كلما تلاشت ومعها الألم في وقت أقصر، قرأ في المرآة الرسالة الموشومة على مرفقه : ((إن لم تنفِّذ فستتعذّب حتى الموت)).

ارتجف وبكى وتوسل الرحمة دون أن يدري ممن يسألها، أيًّا من كان الذي يفعل هذا به، الشيطان، الملائكة، الفضائيون!... أيُّ أحد... المهم أن يتوقف الألم.

ولكن بدل الرحمة، تلقى الأمر الأول مع رجوع الكهرباء بعد انقطاع.

- ((البِس قُفَّازَيِّ الدَّلك على قدميك!)).

تخيلته يلتفت إلى الباب فأسرعُ أنا بكتابة القاعدة : ((إن هربت فستموت، ولكنك ستتعذّب أولا)).

يجري نحو الباب ويحاول فتحه، يمسك بالمقبض ثم يتركه حين يشعر بغتة ببركان انفجر على يده اليسرى، الكلمات على ظهر كفِّه تتوهج بلون حمم

اللّافا، تخيلتها تسري عبر الحبر الأسود على مهل مثل موجة هادئة عبر البحر، موجة هادئة تحمل عذابا أبديا كما أن الجحيم ذاتها تمخضّت عنها، يصرخ ويبكي ويلعن ويتوسل ويبصق على يده ويفركها قبل أن ينزع يده الأخرى عنها حين فاجأته سخونتها الشديدة، يتذكر فجأة القاعدة فينهض مُتعثِّرا لِيقرأ الكلمات المعكوسة على المرآة، القاعدة تقول أنَّ اللهب سيظل يضطرِم حتى يقرأ الموشُومُ الأحرُف، يقلب ظهر كفه فيرمق بهلع ذلك الخط الركيك.

- ((آععع!... الألم يشت... يشتمُّ مع مرو... مرود كل دفيفة... الخط ركيك!))، ينتحب ويصيح : ((الخط ركيك... آععع!.. أرجوكَ لا أستطيع أن أقر... آععع!!!)).

أتخيّله يقولها في استرحام وترجٍّ فأكتب ردِّي بوحشية وقسوة على الحاجب المشقوق فوق عينه اليمنى ((اقرأ!))، *هل يتوقع مني أن أضمَّه ثم ألقِّنه الآيات كمحمد؟! ... أحمق!... لستَ مُحمّدا يا فتى ولستُ ملاكا كذلك، هيا أسرع واقرأ فأنت لا تريد أن تصل لمرحلة الألم الذي يفوق التحمل....*)).

- ((مهلا... مهلا... مهلا... هل أنت مسلم؟!... قلتَ للتو أنك ملحد!)).

- ((ماذا؟... لمجرد أني أعرف القليل عن محمد وواقعة غار حراء تحكم عليّ بأني مسلم؟!... لا، لستُ مسلما ولكني أجريت بحثا عن تلك الديانة تماما كما فعلتُ مع الهندوسية والبوذية والمسيحية واليهودية... كنتُ حائرا أسعى خلف الحقيقة، ولم أجدها في الأديان، فالديانات ما هي إلا خرافاتُ وأساطيرُ الأوّلين التي – وأنا أقتبس من ريتشارد دوكينز[7] هنا – من غير المعقول لرجل في القرن الواحد العشرين أن يؤمن بها، فالعلم اليوم هو الحقيقة المطلقة، لا وجود لشيء خارج نطاقه، لقد جاء وهدم المعابد على رؤوس كهنتها المستغلين لسذاجة الناس، ومن العلم نعرف أنه لا

---

[7] ريتشارد دوكينز (richard dawkins) : عالم بيولوجي مشهور بدعمه لنظرية التطور، وهو أحد أكبر الدُّعاة إلى الإلحاد في الغرب، وأحد قادة حركة الإلحاد الجديد.

يوجد شيء لا تحكمه القوانين الطبيعية الدقيقة القابلة للقياس والتحقق، والتي نستنبطها عن طريق ملاحظة الأنماط المتكررة بشكل منتظم من حولنا، فلا وجود إذًا لشيء اسمه " المعجزة " ولا لرجل في السماء اسمه " الخالق "، فبعد كل شيء، ما هذا الكون إلا مصادفة عشوائية و...))، *ألا ترى أنَّ مِنَ التَّناقُض أن يولد من رَحِمِ الفوضى والعشوائية نظامٌ دقيق* محكم؟ هوى عليه هذا السؤال كالصخرة فتوقَّف حائرًا مبهوتًا بُرهة قبل أن يخطو عنه مبتعدا منكرا وجوده، أنكر السؤال لأنه لم يجد الجواب.

استطرد بعد صمت قصير : ((... أجل، ما الأديان إلا خرافات مكررة فكل رسول مزعوم ينسخ سارقا من النبي الزائف قبله، وفي الإسلام أدلة كثيرة على صدق أقوالي... أتصدِّقُ مثلا بأنهم يؤمنون بحصانٍ وحيد قرنٍ مُجنّحٍ "unicorn " طار بمحمد في ليلة واحدة!... ليلة واحدة إلى بيت المقدس في **" إسرائيل "** ؟)).

- ((أليس المسلمون يؤمنون مثلنا نحن معشر المسيحيين بأن الإله مطلق القدرة يستطيع فعل أي شيء؟ إذا كان لديهم هذا الاعتقاد فليس من الغريب ولا الشّاذ أن يؤمنوا بذاك ال... ماذا يدعى ذلك المخلوق السحري؟... لقد سمعتُ مسلما من قبلُ يتحدث عنه في أحد الفيديوهات على الأنترنت ونسيته)).

- ((اسمه " البُراكْ "... بالمناسبة، واو، لم أدرك أنك مسيحي...)).

- ((لا)).

- ((ماذا؟)).

- ((لا، إنه لا يُدعى بذلك فأنا لا أتذكر سماع حرف " الكاف " ، أظن أنه "بُرَقَ" أو "بَرَبَاق" أو " رُبَاقُ " أو... المهم أنه جمع بين القاف والباء والراء، قلتَ أنك أجريت بحثا عن هذه الديانة فكيف لا تعرفه؟)).

- ((أؤكد لك أنَّ اسمه " البُراك "، هذا ما هو مذكور في ويكبيديا)).

- ((مرجعك ويكيبيديا؟ ألا يقولون أنها مصدر غير موثوق؟ على أيٍّ، أنا

أستعملها أيضا وهي في رأيي... مهلا، ما الذي نفعله بحق اللعنة؟ هيا، تابع اعترافك أيها القاتل، يا للمسيح! لا أصدِّق أنني حقا كنت أناقشك في الدين)).

- ((هاها، لا أُصدِّق أني تمكنت من خداعك، أين توقفتُ؟)).

- ((قلتَ إنَّه لم يستطع القراءة لأن الخط ركيك... أرجوك ثانِيةً أن تُعفِينا عن التَّفاصيل، وأن تختصر قدر المستطاع)).

- ((حسنا، سيدي... الجميع كان يقول أن خطي فظيع في القسم رغم أنني رأيتُ خطوطا كثيرة - من ضمنها خط جوناثان - أسوأ بكثير... الأساتذة كانوا يشدِّدون على ضرورة تحسين خطي، وبعضهم كان يخصم مني النقاط بسببه فأضطر إلى الاستجداء لأحصل على ما هو حق لي و...)).

- ((أكره أن أقاطعك ولكن ما علاقة هذا بالجريمة؟!... قلتُ لك للتو أن تختصر ولا تستطرد)).

- ((حسنا... حسنا... أنا حقا ثرثار كبير لذا اعذرني... أوه، سحر الكلام بلا انقطاع لا يقاوم حين تجد من عمله هو الاستماع لك)).

- ((عملي ليس الاستماع لك... عملي هو أخذ الاعتراف منك... اعتراف بجرائمك وليس يومياتك... لذا هيا تعجل عليك اللعنة فهناك جريمة أخرى ما تزال تنتظر... وأنت لا ترغب طبعا في تجربة أسلوب الاستجواب الآخر الذي نقتلع به الاعترافات اقتلاعا)).

- ((لا... طبعا لا...سأخبركم بكل شيء طواعية... الجملة التي كتبتها له ربما لم تكن مخطوطة جيدا، ولكنها سهلة ويستطيع أي طفل أن يخمن الحروف في كلماتها... مع ذلك لم يستطع قراءتها إلى أن نسختها بخط أحسن بخيالي على خدّه الأيسر... عوى بينما ثلاثة من الأوشام المشتعلة تلتهب على جلده، ونظر إلى المرآة وقرأ محاولا عدم قطع عبارته بصرخة : ((الألم يشتد... مع مرور كل... دقيقة)).

سقط على ركبتيه يشهق وينشج بعد أن خفَّ الألم فجأة وعادت الوشوم إلى

طبيعتها، مجرد حِبرٍ أسودٍ على جِلدٍ، تخيّلتُه ينظر إلى باطِن كفِّه حيث رُسمت عبارة "لنلعب" تخيّلته يفكر : *لقد توقف الألم... نعم، لقد...*

قبل أن ينظر برعب إلى جانب مرفقه حيث كنتُ منغمسًا بإرسال برقية قصيرة أعلمه فيها بأن السيد جورج ليس راضيا عن تلكؤه وعدم قيامه بالمهمة الموكلة إليه، يشرع في الصياح بجنون قبل أن تكتمل الرسالة : ((أرجوك يا... سيد جورج!... أرجوك... لقد فعلتها... أخبرت صديقي بأن يذهب كما أمرت)).

خمنتُ أنه سيكون مشتّتا بالألم والعذاب والخوف إلى حدٍّ أنه لن يتذكر أوامري بالترتيب الصحيح، فتصورته يخطئ قبل أن أخطَّ له عبارة ثانية تحت الأولى : ((المرآة!)).

تصوَّرته يحدق فيها بعدم فهم بادئ الأمر، ثم يهبُّ واثبا نحو المرآة التي ما إن يبلغها حتى ينغرس فيه سهم مشتعل من الألم، يصيح وهو يحاول جهده ألّا يمسَّ العبارتين الناريتين على مرفقه، ويبحث في نفس الوقت عن أمر السيد جورج، يبدأ بالحديث في هستيريا : ((أين هو؟... ليس هذا على مرفقي ولا ذاك على خدي الأيمن ولا الآخر على الخد الأيسر... أين هو؟... أين هو يا سيد جورج اللعين!!... آعع!... أين... آععع!...)). يغلبه الألم فيقبض على ذراعه لا شعوريا قبل أن يفلتها بهسيس مكتوم متأملا الحرق عليها، ذراعه ساخنة وعليه ألّا يلمسها، يحس باشتداد الألم مع كل دقيقة وهذا ما يجعل التركيز على الكلمات مهمة شبه مستحيلة، ها هي... أخيرا وجدها، يركض نحو خزانة جوار حوض الدش، يفتحها ويلقي الصابون والشامبو أرضا وهو يصيح شاعرا ككشاف وضع ذراعه بالخطأ في نار المخيّم، أخيرا يمسك بالقفازين ويقعد على الحوض غير مكترث بالماء الذي يتخلّل سرواله، يضعهما على قدميه كما لو أنهما جوارب صوفية سميكة ويزفر وهو يقبض بشدّة على

ذراعه التي انخفضت حرارتها وعادت عاديّة، يمسح العرق الذي تفصّد منه، وفجأة يبدأ بتذكر جميع حرائق المنازل التي سمع بها هذا العام، هل تألّم الناس الذين اشتعلوا في بيوتهم مثلما يفعل هو الآن؟... وهل تذكّروا بدورهم أشخاصا آخرين احترقوا قبلهم ؟!... وهل سيموت هو محترقا أيضا؟!

لا، لن أحترق... لقد طبّقتُ أمر السيد جورج... لبستُ القفازين على قدميَّ كما أمرني ذلك الشيطان والآن سيتركني وشأني... نعم، سيفعل ، عليَّ أن أغادر الحمّام الآن، ثم أحكي لصديقي الهول الذي حصل لي، وسيتهمني هو بالكذب والتخريف، فأقسم أنا على أن الأمر حقيقي، فيقول لي أنه يصدقني، فقط لأتوقف عن الحديث و...

جعلتُ هذه الخواطر تمرُّ بذهنه قبل أن أكبس على أزرار لوحة المفاتيح من جديد لأُدلي بأوامري التي كنتُ قد قررت أنها لن تنتهي إلا بموته، كتبتُ...)).

- ((مهلا... أأنت تخبرني الآن بأنك تتحكم بخواطر ضحيتك؟!)).

- ((نعم... لقد قلتُ مسبقًا أني أتحكم بكل شيء طالما يمكنني تخيله، الروائح، الملمس، المشاعر، الخواطر... إلخ)).

- ((وهل تظن حقا حسب زعمك أن ضحاياك الذين قتلتهم عبر التخيل قد فكروا وشعروا بهذا قبل موتهم؟)).

- ((لا أعرف حقا... أنا أخبرك فقط بجيمس الذي كان في عقلي وما جعلته يشعر ويفكر به قبل أن أقتله داخل رأسي)).

- ((همم... واصل قصتك اللعينة باختصار أكثر... لا أعرف كم من الوقت قد أصبر قبل أن أتركك لشرطي آخر وأذهب إلى المنزل لأتناول غدائي)).

- ((أمرتُه بعدها بالمشي مشية عسكرية وإنشاد النشيد الوطني بقدميه في قفازات الدلك، ووشمتُ له الأمر على إبطه الأيسر فاضطر ليحلق الشعر الكثيف في عجل وهو يكاد يموت من الألم، وكانت حلاقته داميةً!... أصاب نفسه بعدّة جِراحٍ زاد نزيفُها من عُسْرِ قراءته للجملة الملتهبة، أخيرا بعد أن بلّلها بالماء - الذي ظل يغلي على جلده - عشرين مرة تمكن من الحصول

على لحظة رأى فيها المكتوب، لم يعرف كيف يؤدي مشية عسكرية، ولكنه حاول وركل بقدميه الأرض ذهابا وإيابا عبر غرفة الحمّام الضيقة، غنّى النشيد الوطني الأمريكي وردّده بحماس أمام المرحاض!... أنا من جعلته يفعلها وشعرت إثر ذلك بلذّة حرِّيفة... لذّة انتهاك المقدّسات، أمرته بعدها ب...)).

- ((تخيَّلتَه عن عمد يغني " الراية الموشحة بالنجوم " أمام المرحاض؟!!... أيها المجنون القذر اللعين!...)).

- ((" قُل، أيمكنك أن ترى مع أول نور الفجر؟ جيمس ينشد أمام المرحاض بحبور وفخر"[8]... آووه!... لقد صفعتني!)).

- ((نعم، فعلتُ، أيها القاتل الحقير عديم الاحترام، وسأفعلها ثانية لو تجاوزت حدودك)).

- ((يمكنني قتلك الآن حيث تقعد بفكرة واحدة لذا...)).

- ((إذًا، افعلها! اقتلني! وكأني سأخشى طفلا)).

- ((أستطيع ولكن لا أريد... أتيتُ إليك لأتوقف عن القتل وأنت... أنت لا تساعد إطلاقا!... أظن أني سأتوقف عن الاعتراف الآن، الجريمة الأولى تكفي كدليل... يمكنك أن توقف التسجيل وتتحقق من أسماء الحشرات التي أعطيتك وتقارنها بالحشرات التي خرجت من بطن جوناثان.. ذلك دليل دامغ يكفي لإدانتي!)).

- ((لا... ليس لدينا دليل على أن الجرائم الثلاثة مترابطة تمَّ تنفيذها من قِبل قاتل واحد، ولهذا عليك أن تسرد ما تبقّى بالتفصيل حتى أتأكد من أنك القاتل في كل من تلك الجرائم... هيا أكمل دون إساءات ولا استفزازات)).

- ((إن صفعتني مرة ثانية فسأقْتُ.. اهدأ، اهدأ يا جورج وسيطر على نفسك... واحد، اثنان، ثلاثة،...)).

- ((ماذا تفعل؟!)).

---

[8] الراية الموشحة بالنجوم (the star-sprangled banner) : النشيد الوطني الأمريكي، بتصرف.

- ((أربعة، خمسة... العدُّ لخمسة وأنت مغمض العينين، إنها حيلة لتهدئة النفس... قلتُ أني أمرته بالقيام بالمشية العسكرية، ثم قرّرْت أن أمسك العذاب عنه لحظةً حتى يتوقف عن الصياح ويلتقط أنفاسه وحتى أفكر أنا في أمر ثانٍ ألقيه عليه... خطرت لي فكرة، قررت أن آمره ب...

- ((كُلِ الصابون!))، بدأت الحروف تتشكل ببطء على الذقن أسفل شفته مباشرة، لحسن الحظ هذه المرة أن الشعر لم يكن يحجبها فقد كان جيمس يحلق لحيته القصيرة بانتظام، ولكنه بالطبع لم يشعر بها حتى اكتملت فاشتعلت.

- ((آه!... لقد نفّذتُ ما طلبته... لماذا؟... لماذا تفعل هذا أيها اللعين؟.. أرجوك توقف... توقف بحق... آآه!)).

أغلب كلامه لم يكن واضحا بسبب الصياح والنشيج، أخيرا نهض حين ازداد الحريق استعارا فقط لينزلق في طريقه إلى المرآة ويقع على قفاه أرضا، زعق بالألم الذي تزحلق عبر عموده الفقري، ونهض وهو يحكُّ ظهره مضيّقا ما بين عينيه في توجُّعٍ، كاد يتعثّر ثانيةً حين قام فاستند إلى الحوض، والتفت أرضا ليرى قطعة الصابون البغيضة، حملها بين يديه، وشعر بها تتملص قبل أن يقذف بها بقُوّةٍ إلى حوض البانيو، فجأة أحسَّ بذقنه المشتعلة التي نساها لحظة سقوطه، اندفع نحو المرآة ليطّلع على أمر السيد جورج الواشم...

- ((قطعة الصابون؟!.. لا... لن آكلها، سأتقيَّأ وأتسمَّمُ))، زادت بؤرة اللهب تحت فمه إيلاما لتُذَكِّرَه بالعِقد بينه وبين سيده،" الألم يشتدُّ مع مرور كل دقيقة يا جيمس! "، تفجّرت الدموع وانهمرت على خدّيه، أخيرا بعد أن صبَّ الماء على الوشم الملتهب ثلاثين مرة، وفركه عشرين مرة، وحاول كشطه عشر مرات بالأظافر ومرّة بالموس!... أخيرا لم يبق له سوى أن يطيع مستسلما، وحينها بدأت رحلة البحث عن الصابون...

فتح الخزانة، ثم ركل قارورة الشامبو في سخط أعمى قبل أن يتذكر أنه ألقاه داخل البانيو، فيثب داخله كما قد يفعل سكير متخبط ليجد الصابون على البالوعة، التقطه باشمئزاز وانطلق نحو الحوض وغسله تحت الصنبور، ثم أحكم الإطباق على أنفه وقرّبه من وجهه ببطء من طُلب منه أن يشرب سُمّه، أخيرا بعد أن بدأ يرقص من الألم وهو يشعر كما لو أنّ له لحية تشتعل أخذ القضمة الأولى وبصقها مباشرة، ازدادت اللحية اشتعالا فلم يجد خيارا سوى أن يأخذ قضمة أخرى رغم معدته التي كانت تقوم بشقلبات هوائية، لن أُطيل عليك، سأقول أنه في النهاية أفرغ نصف الصابون الذي أكله على الأرضية، ووقف هناك متعذِّبا يبكي ويبصق بينما الفقاعات تنزل متشبثة بحبال لعابه المتأرجحة في الهواء، وقف هناك غير راغبٍ إطلاقًا في إكمال نصف الطَّبق الشّنيع الطُّعم الزّكي الرائحة الذي ينتظره، عالِمًا أنه سيفعلها رغم ذلك بعد أن يتجاوز الألم كل الحدود.

قرّرتُ أن أقدم له مساعدة، أو ربما عقبة إن أردنا الصراحة... كتبتُ له أفقيا على بطنه : ((أتعلم ما هو أفضل شراب ليساعدك على بلعه؟)).
سأل جيمس بلهفة حين قرأ الرسالة : ((ما هو؟)).
كان حقا يريد أن ينفذ المهمة ويرتاح من ألمه الفظيع، ولكنه حين نظر مُمِيلًا رأسه ليتمكن من قراءة الكلمة الأفقية ارتعد وقال متوسلا : ((لا... لا... سأموت... سأتسمم وأموت... أرجوك... آعع!)).

أصبح الألم لا يُطاق بعد هُنيهة، وبدأ جيمس يعتقد أنه يُشوى حيًّا، وفي النهاية أذعن. صرخ وهو يفتح غطاء قارورة الشامبو ثم يفرغها على فمه المفغور، انسكبت دفقتان من الشامبو البيضاء الثخينة في فمه، وسالت خطوط بيضاء منها على ذقنه حيث كان الوشم قد عاد طبيعيا مسالما، تهاوى جيمس خائر القوى، ينتظر موته الذي تيقن منه، لقد سبق له ورأى تلك الرغوة البغيضة التي تخرج من الفم حين ابتلاع السم، رآها في الأفلام

وهو على وشك تجربتها، ما لم... ما لم يركض مسرعا نحو الباب ويخبر أباه ليأخذه لقسم الطوارئ في المستشفى.

قطع عليه تفكيره وشم آخر على فخذه هذه المرة، وحين اشتعل أحسّ كما لو أن صواعق العالم كلها تجمعت لتضرب ساقه ضربة واحدة، هُرع إلى المرآة وهو يتواثب على ساق واحدة، فبدا منظره حينها كأنه توم القط حين يضربه جيري بمطرقة على أصابع قدمه.

- ((لا تقلق يا صديقي، لن تموت قبل ساعة))، اسودّ الوشم مجددا وتلاشى الأحمر والبرتقالي بينما جيمس يقرأ في عدم تصديق، ظهر وشم آخر أسفل الأول مباشرة فتعجل بقراءته قبل أن يحمّر ويتوهج مشتعلا.

- ((بقيت بضعة أوامر، إن نفذّتها بسرعة فسأتركك تذهب وتنقذ نفسك)).

- ((ما هي؟... ما هي؟... سأُنفِّذ... أيّ شيء، أخبرني فقط ما هو؟))، قال جيمس في لهفة وهلع وعجلة تُبرِّرها ساعة موته التي بدأت تُتكتك... تك... تك، وكما طلب أرسلتُ له الأمر بسرعة البرق لأرى كم ستبقى تلك اللهفة داخله بالضبط. -

((يُسعِدُ السيد جورج رؤية استعدادك، الأمر الأول هو....))، ظهرت تلك الكلمات من تحت الجلد بسرعة لوح من الخشب حين تغمسه تحت الماء، ثم تجلّت كلمات الأمر بضعف تلك السرعة، ولم تمض خمس ثوان حتى صرخ جيمس : ((أضع معجون الأسنان على عيوني؟!... أفرِشها أيضا؟!!... لا... الرحمة... أرجوك... لن أستطيع... لن... آعع!)).

كانت الأوشام الثلاثة الأخيرة كلها مصطفّة على فخذه، لهذا رفع جيمس البنطال الفضفاض عنه ووضعه على الحوض أمام المرآة ليقرأ ما عليه، وبما أنها كلها اجتمعت على فخذ واحد متقاربة متلاصقة فقد كان الألم الذي نتج عنها الأفظع حتى الآن، ولكن مع ذلك بقي جيمس واقفا في مكانه يقفز على ساق واحدة عشرين مرة في الثانية، يرتجف ويبكي ويتوسل، فكرت في أن

أكتب له تحفيزا لأساعده ، قلت في نفسي أن عبارة " الألم يشتد مع كل ثانية " ستكون جيدة ثم خطرت ببالي فكرة، عبارة " لا تجعلني أنتقل من فخذك إلى المناطق الأكثر حساسِيّة " ستكون أروع.

وبالفعل ما إن كتبتها على أبعد نقطة من فخذه، فهم ما ترمي إليه العبارة، وأين سيكون الوشم التالي بالضبط، أنزل ساقه عن الحوض، وأسرع يسحب معجون الأسنان من الخزانة، التي لا بد بدت له مليئة بأدوات التعذيب حينها، مال على الحوض أمام المرآة يرتجف وينظر إلى وجهه البائس التعيس، ورفع فرشاة الأسنان المغطّاة قمتها بكمية كبيرة من المعجون، رفعها إلى عينه

اليمنى، فارتطمت مرتين بحاجِبه ورموشه قبل أن يتمكن تحت وطأة اللهب الحارق من غمسِها في عينه.

- ((آعع!... ها قد فعلتها...آععع!... الألم...)).

كان بالطبع يريد أن يسأل لماذا لم يخفَّ الألم ويختف العذاب، إشفاقا عليه كتبتُ له الجواب فوق حاجبه، ((نسيت شيئا يا جيمس!... افرِش!)).

زاعقا قام بفرش عينه مرارا وتكرارا، واستطعت تخيل يده تتحرك أماما وخلفا، أماما وخلفا دون توقف، وعينه الهلامية اللزجة تتقلّب في محجرها يسارا ويمينا، يسارا ويمينا...)).

- ((توقّف بربك، توقف!)).

- ((ولكنه لم يتوقف... لم يتوقف حتى بعد أن خفَّ ألمه، استمر بفرش عينه كما لو أنه فتى مهووس بالنظافة يخشى أن قطعة من فتات الخبز ما تزال مختبئة بين أسنانه البيضاء ويريد التثبُّت، جُنَّ جيمس وهو يُطبِّق ما أمرته به... ربما أصبح ماسوشيا بعدما عذّبته... أو ربما فقد عقله وظنَّ أنّ الوشوم لا زالت ملتهبة... توقف فجأة عن فرش عينه اليمنى... فقط ليدُسَّ فرشاته خالية من الصابون في عينه اليسرى وهو يصيح : ((افرش!..

افرش!... افرش!)).
اضطررت إلى أن أُحرق أصابعه بالوشوم حتى يترك الفرشاة ويتوقف و...)).
- ((مهلا... مهلا... ماذا قلت قبل قليل؟... ماسوشي؟)).
- ((أجل، في علم النفس تعني الشخص المضطرب الذي يستمتع حين يتلقى التعذيب الجسدي أو النفسي)).
- ((همم... تعرف الكثير بالنسبة لفتى بمثل سنك... ماذا عن " السّادِيّة [9]"
؟ هل تعرف شيئا عن الساديّة؟)).
- ((أجل، فأنا أهتم بمعرفة كل شيء يثير فضولي من الأمراض النفسية إلى الحشرات وغيرها، والآن لا تقاطعني ودعني أنهي القصة فهي في ذروتها... حسنا...أدرك جيمس بعد سقوط الفرشاة أرضا ما كان يفعله، وشرع يغسل عينيه المحمرَّتين الممتلئتين بفقاعات الصابون داعِكًا إيّاهما بشدّة، وهو يصيح بجنون بين الحين والآخر، كان بصره قد بدأ يعود له بشكل ضبابي حين شعر بعود ثقاب يشتعل فوق جبهته وعلى أصابعه.
صرخ : ((لا... لا!... أرجوك لقد فعلت كل شيء... كل شيء... جووورج!... مستر جورج الرحمة!...)).
لا بد أنه تذكر فجأة أنه سيموت متسمما بعد أقل من ساعة، وأن الألم سيشتد بعد دقائق، أدرك أن الوقت يمضي، فتوقف عن الصياح، وألقى نظرة مشوشة ضبابية على المرآة، حيث كُتب على قمة جبهته الواسعة...

- ((هذا هو الأمر الأخير... وداعا من الآن... ما إن تنفذه حتى يمكنك الذهاب)).

لأول مرة منذ بدأت الوشوم ترتسم تلقائيا على جلده شعر جيمس بشيء أقرب إلى الفرح، الراحة، العذاب سينتهي... لم يبق إلا القليل، هذا ما أردته أن يشعر به، إحساس بالأمان، أردته أن يشعر بالسعادة على الأقل للحظة...

---

[9] على النقيض من الماسوشية، المصاب بهذا المرض يستمتع بتعذيب الآخرين نفسيا وجسديا.

قبل أن يسألني ما هو الأمر، كتبتُ له الجواب، في أخمصه اشتعلت الكلمات فاضطر إلى رفع ساقه للحوض مجددا وقرأ : ((انطح الجدار، والكم الزجاج)).
لم تكن العبارة الثانية محتاجة للشرح أو التفسير، وعى جيمس على الفور أن الزجاج يعني المرآة، وأخذ يبكي قبل أن تشتعل جملة أخرى على أخمصه، جملة قررت أنها قد تساعده على الاختيار.
((الموت أم الألم؟)).
فهمها جيمس ما إن قرأها، وبقي أمام المرآة يحدق بعينين محمرتين كما لو أنه غسلهما بالدم، أمام المرآة يرفع قدما في الهواء متوازنا على الأخرى وهو يشعر بالوشم في أخمصه ينهش بفم ناري يمدُّ لسانا شرها من اللهب يلعق قدمه، أمام المرآة التي كان عازمًا على تحطيمها قبل لحظات وقف يرمق جيمس الآخر الذي كان يحدِجه بنفس النظرة، شعرُه الطّويل الناعم أشعثٌ، ووجهه بالكامل موشّم كما لو أنه مغنٍّ من مغني ال" مَمْبَلْ راب "، ألقى نظرة ضبابِيّة على الوشوم، ثم أغمض عينيه وهو يزفر ويشهق في أنفاس عميقة متلاحقة كمريض ربو أصابته نوبة، سالت قطرة من العرق على جبينه، وارتفعت تفاحة آدم للأعلى كما لو أنه يبلع شيئا قبل أن تعود إلى مكانها الطبيعي مجددا، فجأة طفق يهتف بصوت خفيض بدأ يرتفع ويتعالى تدريجيا : ((لن يؤلم كثيرا... لن يؤلم كثيرا... لن يؤلم كثيرا...)).
وحين وصل صوته إلى أعلى الدرجات أخّر رأسه للوراء حتى كاد يقع على ظهره قبل أن يهوي به على المرآة، كدتُ أختنق من الصدمة، لم أكن أنوي تخيل هذا ولكنّ تلك الصورة ظهرت فجأة مخترقة خيالي. هشّم المرآة من النطحة الأولى، ولكنه لم يتوقف، بل أخّر رأسه مجددا سامحا لينبوع من الدماء بالانهمار من جبينه ليسيل على وجهه، اخترقت زجاجة كبيرة مُدبَّبةُ رأسه ولكنه لم يأبه، فقد غاب في عالم آخر وهو يواصل تهشيم المرآة.
تكسَّر جيمس الآخر، وتفرّق وجهه حين انقسمت قسماته، وتقطَّعت أطرافه،

وتناثرت أعضائه على مئة شظِيّة صغيرة، الشيء الغريب الذي أذكره أنه كان ما زال يكرر : ((لن يؤلم... لن يؤلم))، رغم أنه كان يصرخ ويصيح متألما كشيطان يتعذب في سقر، كل هذا دخل خيالي فجأة حتى أنني شعرت وكأنني فقدت السيطرة على أفكاري، وكأن شخصا آخر - كيانا شريرا ربما - سيطر على مخيلتي، لم أقدر على إحكام قبضتي عليها مجددا حتى توقف جيمس عن ضرب رأسه بالمرآة أو ضرب المرآة برأسه إن شئت فهما سواء...

توقف جيمس وأجهش ببكاءٍ اختلط فيه الدّمع بالدم، ثم فقد وعيه وسقط على الشّظايا المتناثرة على الأرض، ولكني أيقظتُه في نفس اللحظة. نهض متعثِّرا متخبِّطا وسقط على ركبتيه مرتين، وفي جبهته أمكنني رؤية قطعتين زجاجيتين كبيرتين غارقتين في الجلد المخضب دما كسفينتين بدأتا تغوصان رأسيا في البحر، ترنّح ماشيا نحو الباب واصطدم به وكاد يقع، قبل أن يغرق في ضحك هستيري جنوني بغتة وصرخ : ((نجوت!.. أخيرا... تحرَّرت من أوامر السيد جورج)).

ابتسمتُ حينها وأنا أتخيل، وفكّرتُ : *ليس بعد!...*

فتح جيمس الباب، ومشى مترنِّحا مُتخبِّطا في ممر ضيق، قبل أن يشعر بحبلٍ من لهب يطوِّق عنقه كقلادة المايستر الضيِّقة الخانقة... أنت تعلم... في " أغنية الجليد والنار "... سلسلة جورج ر ر مارتن)).

- ((الروايات التي استوحوا منها مسلسل " لعبة العروش "... أعرفها، أكمل)).

- ((بالمناسبة، روايات السلسلة أفضل من المسلسل المقتبس عنها بما لا يُقاس حتى إنه لا يوجد مجال للمقارنة بينهما، أين توقَّفت؟... أجل، أصابه الذعر وقال : ((لا... لا... لقد وعدتني يا سيد جورج... وعدتني، لا يمكن لهذا أن يحدث، نفَّذت الأوامر، طبَّقتها بأكملها وقلتَ أنك ستدعني أذهب... قلتَ: "وداعا")).

لا بد أن الوشوم لا تستمع للحديث وكذلك الحروق لأنها بدأت تشتدُّ اشتعالا غير مبالية بصدق قوله، **مع كلِّ دقيقة وكلِّ ثانية**، انطلق راكضا نحو الحمّام وهو يصرخ : ((لا... هذا لا يمكن... لم يبق شيء لم أفعله)).
أراد أن يرى ماذا تقول الرسالة فوجد المرآة مهشّمة، حمل قطعة زجاجية كبيرة حادة ورأى بعينيه اللَّتين لم يزُل منهما الاحمرار والضباب بعد، قرأ بشفتين هامستين واتَّسعت عيناه في هلع وترك الزجاجة تسقط أرضا وتتشظَّى...

- ((كاذب، خائن، ناكث، وأنا صدَّقته... صدّقتُه كالأحمق... لا... لن أفعلها))، قال هذا بعد أن وقعت عيناه على هذه الكلمات ((صدّقت وعدي؟!... يا لك من أحمق!.. لا وعد لنذل مثلك... أمري الأخير هو : اقتل نفسك!!!)).

تحت تلك الكلمات - التي كانت مكتوبة على طول عنقه نزولا من أسفل ذقنه - كان خطٌّ طويل يقطع وريده.... وريد الذّبح كما يسمُّونه، كنت أشير له إلى أن يذبح نفسه بالموس!... ولكن سواء فهمها أم لا، لا أدري، الذي تخيلته أنه كان يجري خارجا من الحمام نزولا على السلالم التي كاد يسقط من عليها ثلاث مرات لأنّه انزلق بقفازي الدلك اللذين نسي أن يخلعهما، وفي الأسفل رأيتُ ما لم أتوقعه...
صديقَه الذي كان يلعب لعبة فيديو في بلاي ستيشن 3 والسماعتان تغطيان أذنيه، أبوه الذي كان جالسا إلى مائدة يدخن مستمعا إلى تعليق على مباراة كرة قدم أمريكية، أبوه كان أول من وثب واقفا مرتعبا من منظر ابنه المغطى بالدم الذي يتدفق شلالا من بين الشظيتين الغائرتين في جبهته، سقط السيجار من يده وصاح بشيء ما، ولكني لم آبه له بل شرعت أتخيل الوشوم كلها تشتعل معا كمدينة تضطرم بالحرائق، شرع جيمس في الصراخ فيما كان وجهه ينصهر تحت حرارة الوشوم الملتهبة، أخيرا أضرمتُ النار في الحبل المُوشّم الذي يطوق عنقه، وشددت عقدته إلى أن خنقته، احترق الجلد

واحمرّ ثم اسودّ، وتصاعدت رائحة اللحم المشوي لتُفعِم أنف أبيه الجَزِع وصديقه الهَلِع، وظهرت قصبة جيمس الهوائية حين انسلخ عنها جلد العنق الناضج المحروق، وبدأت بدورها تلتهب وهناك علمتُ أنه مات... هناك انقطعت عن التخيل وعدتُ إلى الواقع، فوجدت نفسي واقفا وسط الشارع، ولعابي يتدلى بينما السيارات تُطلِق أبواقها كلما مرت جواري وكادت تصدمني، وقعتُ في حالة أقرب لتنويم مغناطيسي من غير أن أشعر، كان ذاك غريبا و... لماذا ترتعد يا سيدي؟!)).

- ((لماذا أنا أرتجف؟... ما هذا السؤال؟!... أنت وقصتك اللعينة!... كيف تستطيع أن تحكي شيئا فظيعًا كهذا بتلك الأريحية؟!!)).

- ((أراهن على أنك تراني هتلر وقد بُعث للحياة من جديد، أليس كذلك؟... هاها... قلت لك أني لم أكن أعلم أن خيالي سيتحقق وأنا صادق، ولكني لستُ نادما كثيرا على مقتل جوناثان وجيمس... أنت لم تكن تعرفهما، لقد كانا متنمرين غبيين وعلى الأرجح كنت لتجلس هنا تستمع لاعتراف منهما بجرائم قتل بعد عشر سنوات، أعتقد أني انتقمتُ لنفسي وخلّصت الناس من مجرمين مستقبليين، وأنا كذلك أؤمن ب"فلسفة العدمية " والتي تقول بأن الحياة لا معنى لها ولا غاية، ولذا فموت وغدين مثلهما لا يستحق الاهتمام، فهما كالرقم صفر، موجبا كان أو سالبا، لا فرق)).

- ((تبا لفلسفتك المختلة هذه!.. ثم من أنت حتى تتنبّأ بمن سيصبح مجرما؟)).

- ((أنا؟... ببساطة شديدة، الشينيغامي)).

- ((الشينيغامي؟)).

- ((أجل، إنه إله الموت -في الميثولوجيا اليابانية- الذي يُقرِّر من يحيا ومن يموت)).

- ((حسنا، لقد خرجنا عن الموضوع... تقول أنك لم تندم على موت جوناثان وجيمس، ولكن هل تستطيع قول نفس الشيء عن ويتني إيفانز؟

)). - ((أوه... تلك... تلك كانت حادثة.. هي من... ولكن هذا ليس عذرا فقد أخذتُ على نفسي عهدا)).
- ((هل يمكنك أن تحكي من البداية؟ فأنا لا أفهم)).
- ((كنتُ قد توقفت عن تخيل قتل الناس نهائيا بعد أن سمعت عن مقتل جيمس، انقسم عقلي إلى نصفين... أحدهما يصرخ فيَّ أن أكون منطقيا، ويقول لي أني قد أصبحت مجنونا إذ أعتقد أن الناس يُقتلون بالأحلام، والآخر يقول أن الحادثة الأولى قد تكون مصادفة، ولكن ميتتان وعِقب تخيُّلي لهما بالضبط، وبنفس الطريقة التي تصوَّرتها، واحدة بالوشوم والأخرى بالحشرات... هذه ليست مصادفة، أخيرا بعد أن صرت أُصبح وأُمسي على صوت هذين الاثنين يتجادلان في رأسي، قرّرت أن آخذ بقول الثاني... قلت لنفسي حتى لو لم أكن أنا من فعلها، فالأسْلَمُ أن أتوقف عن تخيل القتل نهائيا... لم أستطع الإقلاع في البداية، كلما ركلني أحد المتنمرين، أو أزعجني أحد البالغين شعرت بالرغبة في تخيله يموت أبشع ميتة، وبصعوبة كنت أمنع نفسي عن فعلها، وأُغمِض عيني محاولا التفكير في شيء آخر... أخيرًا وجدتُ البديل... تبين أني حين أكتبُ خيالي على الورق تزول فعاليته المميتة، ولا يصير إلا حبرا جافا جامدا، اشتريت كراسة فيها 300 صفحة، وجعلت هدفي أن أنهيها بحلول السنة الجديدة، كنت أكتب في المدرسة، بين الحصص ووقت الرّاحة، وكذلك حين أرجع للمنزل، أكتب عن كل الأشياء التي تزعجني والتي اكتشفت أنها كثيرة حقا، احترفت التلاعبات اللفظية وأثريتُ بها كتاباتي، لأجعل لها قيمة أدبية، ثم أضفت إليها القوافي، وبحلول نهاية الفصل أصبحت كتاباتي ترقى لمستوى أغاني الراب الإنجليزي العنيفة الغنيّة بالقوافي والتَّورِيات، الفرق الوحيد أني كنت أعبِّر باللغة الأكاديمية بينما مُغنُّو الراب يستعملون لهجة رجل الشارع العاميّة وهذا...)).
- ((مهلا... أتظن أني راغب بسماع شيء من هذا الهراء؟!... أنا لا أهتم مقدار ذرة أو حتى إلكترون بما تكتبه وكيف تكتبه! أنت جئت لتقدم اعترافا،

وأنا جلست على هذا الكرسي حتى تخدّرت ساقاي... لماذا؟... لكي أسمع اعترافك... أين الجريمة في كل هذا؟... أين ويتني إيفانز؟)).
- ((إنها في القبر)).
- ((ما..؟!... ماذا؟!... أيها ال ...)).
- ((قُلتَ لي ابدأ من البداية فشرعتُ أُطلِعك على مقدِّمات الجريمة... حسنا... سأخبرك عن ويتني، تلك الفتاة المأفونة...)).
- ((كلُّ طُلّابُ صفِّك حمقى باستثنائك أنت، أهذا ما تحاول قوله؟)).
- ((باستثنائي أنا وهارونا، هذا صحيح، ماذا كنت أقول؟... كان هناك أستاذ تغيّب في ذلك اليوم فذهبت إلى القسم المجاور الخالي، وقد أزمعت أن أكتب في كراستي تزجية للوقت، جلستُ جوار النافذة أخطُّ أفكارًا جديدةً خطرتْ ببالي حين شعرتُ فجأة بأني مراقب... أنت تعرف ذلك الإحساس الغامض بأن أحدا يراقبك من خلفك، تلك الحاسة السادسة التي يتَّضح أنها صائبة أغلب الأحيان... التفتُّ إلى الوراء لأقابل ذلك الوجه الدَّميم الذي ينظر نحوي في فضول، الوجه الذي اختفى بسرعة البرق بعدما هربت حَامِلته بعيدا...

- ((كلبة!))، قلت لنفسي، ((لقد تركتُ قسمي بسبب صياحهن اللعين وضحكهن الصاخب المثير للغثيان وها هُنَّ يلحقنني كالذباب اللزج))، فكَّرت أوَّلا في أسطورة صندوق الباندورا، وكيف أن المرأة منذ ذاك الوقت لم تتغير أبدا، لا زالت بفضولها اللعين تفتح أبواب الجحيم علينا، فكّرت في شجرة التفاح المحرمَّة وحواء أُمِّنا التي أخرجتنا من الجنة بفضولها، أنا لا أؤمن بكل ذلك طبعا، ولكني أجد في الدين والأساطير تمثيلا صادقا للنفس البشرية، فكرت بعد ذلك في أنّ جاك السفاح قد يكون محقا بقتله لهن بعد كل شيء... هاي... قبل أن تقاطعني علي أن أخبرك عن وجود شيء يدعى الكوميديا السوداء إن كنت لم تسمع عنه...)).
- ((أعرف عن شيء يدعى الكوميديا السوداء، كما أعرف أن جرائم القتل

ليست موضوعا للمزاح، أعرف كذلك طُلّابا يتمنّون لو أن الفتيات يلاحقنهم كما يلاحقنك، أنت لا تعلم في أيِّ نعمة...)).

- ((ليست نعمة!... لا أريد لأحدٍ أن يطّلع على كتاباتي قبل أن آذن له... لو كنت أرغب في أن يروها لكنت أَرَيتُها لهم، ولكن بعض الناس يعانون صعوبة في فهم الجَلِيِّ الواضح... المهم، حين بدأتْ الحصة التالية جلستُ إلى طاولتي دون أن أوبِّخ تلك الوقحة فقط لأفاجئ بها تأتيني وتأمرني بإطفاء الضوء وغلق الباب... تظنني عبدًا في خدمتها!... لم أرُدَّ ولكني تخيَّلتها بعدها... الشارع المعتاد كما أظن... انجرفت أفكاري نحوها وبدأت في تصوُّرها، ذلك الوجه الباسم الذي تظُنه جميلا، ذلك الفم الذي لا ينفتح إلا ليقول شيئا سخيفا، ذلك الرأس الفارغ إلا من تافهٍ، تخيَّلت كل شيء فيها، وتخيلتها في الحمام...

تُمشِّط شعرها أمام المرآة وتُكلِّم نفسها عني!... كانت تقول لنفسها، *ذلك الفتى اللطيف، إنه صموت خجول، أظن أنه سيكون زوجا مطيعا!*.. عليها اللعنة!... تبا لها!... قلتُ لنفسي : *سترين ماذا سيفعل الفتى اللطيف!!!*

وتخيلت تلك النافذة تبرز فجأة من الجدار، التفتتْ الفتاة وألقت مُشطها في هلع، وكان يجب لها أن تجري خوفًا ولكنها تقدّمت فضولا، تقدّمت على مهل لترى من خلالها ذلك الفتى منغمسا في الكتابة لا يشعر بشيء حوله، على الطاولة أمامه كانت هناك سيَّالات وأقلام بالعشرات، وأوراق مُكوّرة وأخرى مطويَّة، راقَبَتْهُ يكتب شيئا ثم يتوقف، وفجأة بدأ يرتجف من أعلاه لأسفله في رعشة عنيفة، ثم حمل خمس سيالات وانتزع قنواتها المعبّأة حبرًا وتأمّلها لحظة، قبل أن يخلع أسِنَّتها ويأخذ في مصِّ المداد منها، شفطةٌ واحدة وأضحت القنوات فارغة، فيما كانت قطرات من حبرها تسيل على ذقن الفتى الذي أخذ بعد ذاك أقلام رصاص، وألقاها في فمه وشرع يقضمها لتبدو في فمه كجزر في فم أرنب!... بلع الرصاص المختلط بالخشب، ثم

التقط كُرتين من الورق المُجعَّد وقَذَفَهما في الهواء لتسقُطا مباشرة داخل فمه الذي كان قد أصبح ضخما طويلا مثل خَطْمِ تمساح...

رأت بهلع ذلك الوحش الذي تحوّل إليه الفتى، وحش يناهز عمالقة السايكلوب طولا، وفيه تعرَّفت وجهي...

فهربت، هربت، هربت، هربت، ربما لأني لم أعُد طِفلًا لطيفا أو زوجا مُطيعًا بعد الآن، كسرتُ النافذة فتناثرت شظاياها وتساقطت مطرًا على الأرضية، لحقتُها بينما هي تصيح أعلى بعشر مرات مما كانت تفعل حين يلقي جوناثان فأرا مطَّاطيًّا تحت قدميها، وثبةٌ واحدة ووجدت نفسي عليها جاثما كالأسد فوق غزالة، يداي لم تحملا أصابعًا بل سيّالات وأقلاما، وأسفل قدماي كانت عشرة من المماحي والمباري، كانت سيالاتي وأقلامي على صدرها ومباريَ ومماحِيَ على ساقيها، وحين نَظَرتْ إليَّ غَاصَت عيناها المرتعبتان المتَّسِعتان فيما بين فكّيَّ... "وحش الكتابة "، ربما كان هذا ما سيطلقونه علي لو كنتُ في فيلم رعب، فما بين فكيَّ اصطّف خمسون قلما وسيَّالة مكان الأنياب والأسنان، وبين كل هذا تدلّى لسان ضخم أزرق غامق كأعماق المحيط يقطُر حبرا أسودا لا لعابًا، تعانقت الأقلام بالسّيالات حين أطبقتُ فمي، وعلا صوتها إذ شرعتُ أشحذُها ببعضها كما يشحذُ الجزّار سِكِّينيه قبل الذبح والتَّقطيع، أطلقت ويتني صيحاتٍ مرتعبة عَبَرَ صداها عَبْرَ حلقي!... أعطيتها ابتسامة طفل مهذّب، ثم أغلقتُ فمي بلطفِ مصَّاص دماء على عنقها!!!...

وحين أفَقْتُ من حلم اليقظة هذا، وجدت نفسي مستندا إلى جدار مكتبة للأدوات المدرسية، واللُّعاب يتدلّى من فمي في خيطٍ طويل، لاحظت أن الناس ينظرون لي في استغراب، فأسرعت أركض إلى منزلي... ها قد أنهيت اعترافي، أريد المساعدة... أريد أن أَتَعالَج وأتداوى وأنت وعدتني بتقديم المساعدة أيها الضابط)).

رمق الضابط إيثان ذلك الفتى متمعِّنا محاولا إخفاء اشمئزازه وازدِرائه، سأل نفسه في لهجة أقرب للشكوى : *يا إلهي... ألن تتوقف أمريكا أبدا عن استيلاد المجانين والمخابيل والمعاتيه؟!*

تفحَّصه من أعلى لأسفل، فتى في الصَّف التاسع في الثانوية، شعره أشعث فهو لا يهتم بتسريحِه كما يبدو، قميصه أبيض مُمزّق في عِدّة مواضع، سرواله مخيطٌ منزليًّا كما لاحظ، لا شيء مميَّز في وجهه غير جبهته المنتفخة، *جبهة طالب علم*، فكّر إيثان ساخرا وإن لم تَبْدُ له النكتة مضحكة حينها، خفض بصره عن وجهه ليعطي ذلك الجسم النحيل عديم العضلات نظرة، جلد على عظم، كان إيثان يعتقد أن على المراهق الذي لا يهتم بنفخ عضلاته حالما يحتَلِمُ ويبلُغ أن يزور الطبيب ليُعايِنه ويتأكّد من أعضاءٍ بعينها، فلربّما أخطأ طبيب التَّوليد في تحديد جنسه. فتاةٌ أو مخنثٌ، هذا ما كان يعتقده إيثان في أيِّ مراهقٍ لا يحمل عضلات مفتولة على ساعديه وصدره، كان إيثان مُذْ كان صغيرا يكره الأولاد الذين يقرؤون وقت الرياضة، ويكاد ينفجر فيهم حين يراهم يُقلِّبون الصَّفحات في الملعب، يقاوِم رغبةً شديدة في تقطيع كتبهم وجعلها تتماطر قُصاصاتٍ عليهم، كان شعاره دائما هو **اللياقة البدنية قبل العلم والثقافة**، وهذا ما حرِص عليه في تربيته لابنيه جوزيف ويِيلْ.

بعد صمت طويل سأل الفتاة... أقصد، المراهق المشكوك في جنسه الذي كان ينتظر تعليقه : ((هل أمكنك ملاحظة ماركة السَّيالات في حُلُمِك؟)).
((طبعا))، أجاب جورج : ((إنها نفس العلامة التجارية التي أستعملها..." كريش")).

أيُّ قاتل أحمق هذا ؟!... لقد كان إيثان مُذْ قرَّر أن يصبح شرطيا يبحث في القضايا غير المحلولة، والمجرمين من كل شكل ولون سواء كانوا لصوصا

أو قتلة، وقد اعتقد لفترة من الزمن أنه قد رأى كل شيء، من " زودياك [10]" الذي لم يَتِمَّ إمساكه قطُّ والذي كتب رسائل إلى الشرطة أورد فيها معتقدا غريبا، وهو أنه كلما قتل كلما زاد عدد عبيده في الجنّة، فقد كان يظن أن ضحاياه سيصبحون عبيدا له في الآخرة، إلى جيفري دامر[11] الذي كان يأكل لحوم قَتْلاهُ، ويمارس " النيكروفيليا " معهم، ولكن وهو يرى هذا القاتل الغبيّ أمامه اعترف لنفسه أنه كان مخطئا...

جورج هذا هو أغبى قاتل رآه منذ انضمّ إلى الشرطة، يأتي إلى مقرِّهم بكامل إرادته ويصارِحهم بِأنّه يريد الاعتراف بجرائمه، رغم بُعْدِه عن الشُّبُهات كُلِّيًّا، يسأله إيثان لماذا يرغب في الاعتراف فيجيبه الأبله المجنون بأنه يقتل الناس بخياله، وأنه يريد الحصول على مساعدة طِبية نفسيَّة، ويفسِّر عدم تقدُّمِه لمصحة نفسية بقوله السخيف : ((عندما أُخبر طبيبي النّفسي عن جرائمي لا شكَّ أنه سيُبلِغُكم عني، وبالتالي عرفت أني سأجد نفسي هنا عاجلا أم آجلا لذا قررت اختصار الوقت!)).

بعد سماعه لذلك القول قاوم إيثان رغبة شديدة بإعلانها له في وجهه : ((أنت أغبى مجرم في التاريخ))، وطلب منه بدلا من ذلك أن يجلس ووعده بعدها أنه سيساعده بكل ما يستطيع حين يعترف له بجرائمه، صدّقه الفتى ولم يطلب حتى تعهُّدا ليضمن ألّا يخدعه الشرطي، صدّقه واعترف بكل جرائمه الثلاثة، وفيما كان إيثان يستمع له رسخ في نفسه انطباعه الأول، الفتى مجنون، مختلٌّ عقليًّا، يقول أنه يحلم بشخص يموت، ثم في اليوم التالي يسمع بمقتله، يا سلام!.. لو أصبح لكل المجرمين هذه القدرة لصاروا لا يُقهرون، ولكن رغم جنون جورج الواضح إلا أنه أعطى تفاصيل دقيقة لم تعلن الشرطة عنها أبدا، فهي لا زالت تُحقِّق في هذه الجرائم الثلاثة منذ أسبوع دون تقدم، وكيف تحقق تقدما وهذه القضايا باعتراف ثلاثة من أشهر

---

[10] زودياك (the zodiac killer) : قاتل متسلسل أمريكي ارتكب جرائمه في الفترة الممتدة بين 1968 و1969 في كاليفورنيا، لم تقبض عليه الشرطة أبدا، وكان يبعث لها رسائل مشفّرة ويطالبها بنشرها في الصحف.

[11] جيفري دامر (jeffry dahmer) : قاتل متسلسل أمريكي، وآكل لحوم بشر.

متحرّي البلاد هي أغرب القضايا الجنائية في التاريخ؟!... أو على الأقل القضيتان الأُولَيان كذلك...
جوناثان فتى في السابعة عشر وجدته أمه رايتشل - التي تعمل ساقيةً في حانةٍ حقيرة - في الحَمّام مستلقيا أسفل الحوض إلى جوار عقرب أسود، وأم أربعة وأربعين، وصراصير وعناكب، الحمّامُ كان محميَّة حشرات، حسب شهادة رايتشل - بعد أسبوع قضته في المستشفى - كان هناك نحل يحوم في الأرجاء، ونمل يجري على الجدران، وفراش يطير في الأنحاء، وعُثٌّ يجثم على السقف، لَمحت كل هذا لوهلة حين فتحت الباب، فأُغمي عليها في التوِّ واللحظة لمدَّةِ ساعة، قبل أن تفيق وتتحامل على نفسها لتتَّصل بالشرطة، قضى الشرطة نصف ساعة يستمعون لها حتى يتمكنوا من فهم ما تقوله، فقد كانت كل كلماتها مفكّكة إلى مقاطع صوتية، والأسوأ أنها نطقت المقاطع بصوت متلعثم راجفٍ باكٍ، كان خطأً كبيرًا من الشرطة أن سمحوا للصحافة المحلية بتغطية الحدث فقد أدى ذلك إلى إثارة موجة من الذعر، والآن لا زال المحققون الجنائيون يحلِّلون مسرح الجريمة بمعونة المختصين في الحشرات، دون أدنى دليل حتى الآن، قال المختصون أنها كانت موجودة في جسم جوناثان قبل موته!... جُثَّة تسكُنها الحشرات فكرة مريعة فما بالك بجسد حي تستوطِنه الحشرات؟!!... قالوا كذلك أنه تمَّ إدخالها بطريقة ما إلى بطنه، المشكلة أنه لم تكن هناك خيوط جراحة على جسم جوناثان، لذا يبقى السؤال المعلَّق الذي لن يجدوا له حلًّا أبدا هو... كيف؟!!!

القضيّة الثانية أكثر غرابة، جيمس صديق جوناثان الذي خرج نصف عارٍ من الحمام مساءً ونزل السّلالم صارخا، قبل أن يقتحم غرفة المعيشة وهو يصيح بينما تحترق حنجرته، وكل هذا أمام ناظِرَي أبيه بيتر الذي كان يدخن، وصديقه ريتشارد الذي كان يلعب البلاي ستيشن منتظرا خروج صاحبه، أسقط الأب سيجارته على السجادة التُّركِية وكاد يتسبب في احتراق المنزل بأكمله، لولا أنه حين نهض متعثرا داسَها بقدمه فأطفأها دون قصد منه.

حسب شهادة ريتشارد - الذي يتلقّى الآن عناية نفسية مكثفة – فإن جيمس صعد إلى المرحاض في الخامسة مساء قبل أن تنقطع الكهرباء بخمس دقائق، قال ريتشارد أنه ذهب إليه بعدها ليطمئن عليه، وأخبره أنه سيحضر له مصباحا يدويًّا، فأجابه جيمس بعصبِيّةٍ غير مبرّرة من وراء الباب، وأمره بأن يذهب ولعنه بلا سبب على الإطلاق، كان بيتر لا زال يبحث عن المصباح حين رجعت الكهرباء، فتوقف عن البحث وذهب إلى الأريكة مقرِّرا أن يلعب مباراة فردية ريثما يخرج صديقه، لم يكن يعلم أنّ صديقه لن يلعب معه مجدَّدا أبدا.

هاتان القضيتان كان إيثان يعتقد أنه سيتم إغلاقهما دون حل، ولكن الثالثة كانت عاديّة... فتاة تُقتل في حمّامها... تمَّ الإبلاغ عن حالات مثل هذه من قبل... الشيء الغريب فيها أن السلاح المستعمل هو الأقلام والسيالات، وهو اختيارٌ عجيب حقا... وجدوا السيالات والأقلام مغروزة في عنقها مكسورةً داخِله، كما عثروا على خطوط عشوائية بأربعة ألوان من الحبر، الأزرق والأحمر والأخضر والأسود على ذراعيها وساقيها، بدت هذه أكثر قابلية للتصديق من الجريمتين اللَّتين سبقتاها، ولكن مع ذلك ظلَّت صعبة، فقد كانت الغرفة مغلقة، والنافذة مقفلة، كما كانت هناك شظايا زجاج على الأرضيّة مجهولة المصدر.

رغم أن إيثان لم يكن مكلّفًا بأيٍّ من القضايا إلا إنه كان حريصا على الحصول على أحدث الأخبار والتطورات، فقد كان مُسْتَثارًا... نعم... كما قرأت، مستثارا لأنه وللمرة الأولى منذ زمن يشهدُ قضايا غامضة عصِيّة، أثارت فيه شغفه القديم بالتحرِّي الذي اكتسبه بعد قراءة إحدى روايات شارلوك هولمز ومشاهدة جميع أفلامه.

ثم اليوم يجلب له القدر هذا الفتى المجنون، يزعم إنه ارتكب الجرائم، ويُدلي بتفاصيل لا يمكن لأحدٍ غير القاتل نفسه ورجال الشرطة أن يعرفها، الفتى

حقًّا يدُلُّ على عدم كفاءة المحققين، كيف لم يستجوِبوه وهو يدرس في نفس الفصل مع القتلى الثلاثة؟... كان يجب عليهم استجواب المدرسة بأكملها.

- ((حسنا... أشكرك الآن يا جورج على المساعدة باعترافك هذا... أؤكد لك أننا لم نكن لِنجد تفسيرا لهذا اللغز أبدا)).
قالها إيثان بِنبرة ساخرة، ولكن لا بد أن جورج لم يدركها فقد ردّ : ((لا شكر على واجب... والآن كيف تخطط لمساعدتي؟)).
بدا الانزعاج ممتزجا بالسخرية على وجه إيثان، *الساذج لم يفهم بعدُ.*
قال بعد أن قرر وضع خاتمة للعبته : ((أوه... لم يكن عليك أن تجيب، فكلُّ كلمة تقولها من الآن ستُستخدم ضدك في المحكمة... ديفيد وجون، خذا ابن الكلبة هذا عني... قيِّدوه وضعوه في غرفة الاحتجاز)).
نظر له جورج مصدوما وقال : ((ولكنك وعدتَني بالمساعدة)).
- ((تريد التوقف عن القتل؟ لا تخف، السجن أو المصحة سيضمنان لك ذلك)).
- ((ولكن خيالي لن يتوقف في الزنزانة)).
- ((أتظن أني صدّقت قِصّتك السخيفة هذه أيها القاتل؟!... أنت تتخيل كما سبق وفعل أغلب القتلة المتسلسلين من قبلك... تتخيل ضحاياك وأنت تقتلهم، ثم تنفِّذ تخيلاتك في الواقع وتقتلهم حقيقة... وسَيَّان عندي كنتَ تفعلها عن وعي أو بدونه.. لا يهمُّني، المهم أنك ستُقدَّم للمحاكمة وتُسجن بعدها، وإن كنت أتمنى لو أن حكم الإعدام لا يزال سارِيًا)).
حدّق فيه جورج ثم صرخ : ((ولكن كيف؟... كيف فعلتُها إذن؟)).
هذا هو السؤال المجهولة إجابته، ما لم يكن هذا الفتى شيطانا أو إلهًا فلن يستطيع أبدا أن يملأ بطن أحدهم بالحشرات الحيّة، ولكنه يعرف أدقَّ التفاصيل فلا بد إذًا أنّ له صلة بتلك الظواهر غير الطبيعية، إما أنّه نفَّذ الجرائم كلها بطريقة ميتافيزيقة وهذا ما لا يقبله عقلي، ولن يُصِّدقه أحد

سوى المختلُّون أمثاله، أو أنه لم يرتكب أيًّا من الجرائم ولكنه عرف تفاصيلها بطريقة ما، أو أنه ارتكب الأخيرة فقط، جريمة قتل ويتني العادِيَّة، وعلِم بالحادِثتين الأُخريين بشكل ما، وهذا الاحتمال الأخير هو ما أميل إليه، ولكنّ الأحسن أن أُلفِّق له تهمة ارتكاب جميع الجرائم، ليدفع الثّمن مُضاعفا على فِعلَته، ويُغلِقَ الشرطة هذه القضايا مرة واحدة ويرتاحوا متفادين نعت الناس لهم بالعجز وعدم الكفاءة.

كيف؟! ابتسم له إيثان وملَّس على شاربه الفخم ثم قال : ((هذا هو الأمر الذي سيسرُّني سماعك تحكي لنا عنه في المحكمة)).

الفصل الثاني : محاكمة

وضعت آمي ساقًا على الأخرى فاحتكّت رُكبتها العارية بالخشب الأملس تحت مكتبها الخشبيِّ الضّخم، وسط المكتب كانت هناك بضعة أوراق تنتظر منها المراجعة موضوعة فوق تقويم من الورق المقوى لعام 2021، إلى الجانب الأيمن كان كادر صورتها هي وزوجها وابنها الوحيد، وإلى الجانب الأيسر كانت ثلاث ملفات منتفخة بالأوراق مكدّسة فوق بعضها، أمام تلك

الملفات أباجورة جميلة مزخرفة وإلى جوارها ميزان فضي صغير ذو كفتين، بدا لآمي أنّه يُمثِّل العدالة فاشترته لتُزيِّنَ به سطح مكتبها الذي على يساره تحتل خزانة كبيرة نصف طول الغرفة، خزانة انحشرت الكتب على رفوفها المنثنية تحت ثقل الموسوعات والدّساتير الضخمة، وخلفه كانت الستائر البيضاء الناعمة التي تنسل على جانبي النافذة الشمسية كحارسين على جانبي بوابة.

- ((إذن، أنتِ تريدين توكيلي محامية في قضية ابنك؟)).
- ((نعم... أرجوكِ أن تساعديه... إنه بريء... بريء)).
- ((حسنا... لا تخشي شيئا... أوه... أرجوكِ لا تبكِ، تفضلي))، قدّمت آمي منديلا للأم المكلومة، ((ما هو اسمك واسم ولدك مجددا؟)).

أجابت المرأة التي بدت في الثلاثينات من عمرها : ((رايتشل... ابني المسكين جورج، قبضت عليه الشرطة واحتجزته، أخبرني أحد الضباط بهذا وقال أنه سيمثُل أمام المحكمة، زَعَم أنه أتاهم طواعية واعترف ب... ب... بقتل زملائه، أعلموني أيضا أنهم سيحتاجون شهادتي كما أوصوني بتوكيل محامٍ... جورج لم يقتل... لا، لم يفعل... أنا أعرفه... إنه بريء... بريء)).

أحرق الشعور بالتعاطف آمي لمرأى رايتشل تبكي ابنها، حتى أنها كادت تندفع وتعرض عليها خدماتها مجانا، إنها أم أيضا لذا فهي تفهم شعور رايتشل زبونتها الجالسة على الجانب الآخر من المكتب، قالت مهدِّئة بصوت خنقته الكمامة التي تنقبّت بها : ((أرجوكِ سيدتي، لا تبكِ... لا تبكِ... أرغب في مساعدة ابنك، نعم، سأفعل، سأساعده بكل ما لدي، ولكنك لابد تعلمين أنّ المحامين لا يعملون مجانا)).

قالت رايتشل بلهفة وهي تمسح دموعها التي لم تنفك تنهمر : ((سأدفع... سأدفع... زوجي ويليام مات بنوبة قلبية قبل عشر سنوات، لم يبق لي غير جورج... سأدفع أي شيء تطلبين فأنت تستحقينه، أخي هو من دلّني عليكِ... قال أنّكِ أنقذتِه قبل أعوام من اتهام خطير بالسرقة)).

- ((هل لي أن أعرف اسم أخيك يا سيدتي؟))، سألت آمي وهي تفكر فيمن يكون، طوال سنوات عملها العشرين أنقذت حوالي خمسين متهما حتى الآن، جُلُّهم خرجوا من المحكمة بحكم براءة، أما الذين تمَّت إدانتهم فقد ساهمت في تخفيف حكمهم إلى الحد الأدنى. لهذا تعتبر آمي نفسها واحدة من أفضل المحامين في البلاد، وليس هذا غرورا منها فقد سمعت هذا المديح والإطراء من شفاه المتعاملين معها أنفسهم، هذا ما جعلها ترفع ثمن خدماتها إلى أقصى حد، وما زالت تحصل على القضايا كل شهر رغم سعر خدمتها الباهظ، كيف لا وهي لم تخسر سوى خمس قضايا طوال مسيرتها المهنية؟

- ((روبرت سميث، اتُّهم بسرقة متجر، لقد أشاد بمهارتك وقال أنّه لولاكِ لكان الآن في الزِّنزانة)).

أوه، ذلك اللص!... نعم، روبرت وغيره من اللصوص لجئوا إليها وأنقذتهم من براثن الزَّنازين، لقد عرَفَتْ ذنبهم ولكن لَمْ تهتم، ولِمَ تهتم؟... في المحاماة عليك أن تدافع عن مُوكِّلك بريئا كان أو مذنبا... في الواقع ستكون المحامي الأفضل إن تمكنت من تبرئة المجرمين. فذلك صعب، عليك إيجاد ثغرة في القانون، أو إلقاء أسئلةٍ تجعل الشهود يشكُّون في شهاداتهم، وتدفع هيئة المحلفين إلى تكذيبهم، عليك استغلال أي خلل في هجوم المدعي العام، وأيّ تناقض بين قصص الشهود... باختصار، عليك إيجاد الثغرة وإخراج موكلك عبرها، وبالعكس من القاعدة السابقة إن كان مُوكِّلك بريئا وتمّت إدانته رغم ذلك فأنت المحامي الأسوأ.

هذا ما تؤمن به آمي وهذا ما تعمل بإخلاص لتحقيقه، إنها لا تنظر إلى موكلها من حيث براءته أو ذنبه، إنها تنظر إليه على أنه رفيق يجب أن تصحبه في دخوله إلى المحكمة وتُخرجه منها وقد نزع كل ما أُلصق به من تُهم.

- ((نعم، أذكره...))، *ذلك اللص دفع الكثير*، ((لقد كان بريئا، فساعدته تماما كما سأساعد ابنك... كوني مطمئنة... بِمَ اتَّهموه قلتِ؟)).
سألتْ هذا لأنّها كانت شاردة فلم تسمع ما قالته رايتشل في البداية.
أجابتها وهي تمسح دموعا أخرى بالمنديل الذي تبلّل عن آخره : ((جريمة قتل، اتهموا ابني الحبيب بالقتل، قالوا أنه هو من قتل جوناثان وجيمس وويتني... زملائه في المدرسة)).
- ((جريمة قتل!... تلك الجرائم الثلاثة الغريبة... كيف قبضوا عليه؟... لماذا اشتبهوا به؟))، سألت آمي متفاجئة فهي لم تكن تعتقد أن أحدا يمكن أن يحلَّ تلك القضايا العجيبة، لأنها كانت خارقة للطبيعة... كما يقولون، جوناثان وجدوه ميتا وفي بطنه مئة عنكبوت!!! جريمة قتل شنيعة، هذا إن كانت جريمة قتل أصلا...

أجابت رايتشل بصوت مختنق : ((زعموا أنه قدّم اعترافا عن طواعية)).
- ((طواعية؟!!))، صاحت آمي قبل أن تخفض صوتها حتى صار أقرب للهمس، ((لماذا قد يفعل ابنك ذلك؟)).
- ((لا بد أنهم يكذبون))، انفجرت رايتشل باكيةً وهي تقولها : ((لا بد أنهم استجوبوه وبقسوة... جورج ليس القاتل... لا يمكن أن يكون هو)).

لا أستطيع التحدث مع امرأة باكية لا أفهم نصف ما تقوله، ولكني سأخفض السعر للنصف فهي أمٌّ مثلي، أمٌّ مسكينة حقا، قررت آمي ثم وضعت يدها على يد رايتشل لتهدئها وشدَّت عليها مفكرة : عشرون ثانيةً *من غسيل اليدين بالصابون تنتظرني*، ثم قالت : ((سأتكلم مع ابنك، أعدك يا سيدتي أني سأبذل كل ما بوسعي لتبرئته... والآن بخصوص السعر... قررت أن أخفض الثمن لك إلى ثلاثمئة دولار للساعة الواحدة)).
اتّسعت عينا رايتشل وهي تقول مبهوتة : ((ثلاثمئة دولار؟!!!)).
التوت ملامح آمي في ضيق : ((أجل، ثلاثمئة... لقد قلتِ أنك ستدفعين أيَّ ثمن لتبرئة ابنك... أخوك دفع ثلاثة أضعاف هذا)).

توسلت رايتشل : ((ولكني أعمل مدرِّسة في الابتدائية ولا أُحصِّل الكثير، أنا أرملة أُعيل ابني لوحدي منذ رحيل زوجي... أرجوكِ خفّضي لي الثمن، أو احسبيه دَيْنًا... نعم، دينا أردُّه لك فيما بعد)).
فكّرت آمي: *ماذا؟!... حتى الأحمق لن يتوقع من أخت لصٍّ أن تردَّ الدين*، ولكن مع ذلك هناك القضية نفسها، سأدافع عن قاتل متهم بأكثر الجرائم إثارة للجدل، إن ربحت فسيرفعني هذا إلى مصاف المحامين الأشهر في تاريخ القضاء : ((حسنا... سأخفض المبلغ لنصفه، لا أستطيع القبول بأقل من هذا)).
قبّلت رايتشل أصابعها شكرا، بل إنها كانت لتُقبِّل أصابع قدميها وتغسلها بالدموع لولا أن آمي وقفت ولوّحت مودعة متمنِّعة عن مصافحتها _ فالأيدي للكورونا بمثابة سيارات التاكسي _ قائلة : ((على الرحب والسعة، اطمئني، وتأكدي أنني سأفعل أيَّ شيء لأُبرِّئه تماما كما سبق وبرَّأتُ خاله، أبلغي روبرت تحيتي)).

قالت هذا ورافقت الأمَّ الحزينة إلى الباب وهي تفكر : *هذه قضيتي، قضية العمر، اختباري الأكبر لأثبت أني الأفضل في المهنة.*

****

حَدَجَ توم الضابط الجالس أمامه الذي كان ينظر له بالمثل، نظرة مِلؤُها الحماس والخطورة مع شيء من الفخر، نظر له مليًّا ثم سأله ليتأكد من أنه سمعه بشكل صحيح : ((عذرا، هل يمكنك أن تعيد ما قلته للتو؟)).
قال إيثان : ((حضرة المدعي العام، اعتقلت القاتل الذي ارتكب الجرائم الثلاثة في حق كل من جوناثان وجيمس وويتني... طلاب ثانوية "هوبس فيلد")).

أخذ توم رشفة من دورق الماء وهو يفكر : *إنه ليس المكلف بالقضية حتى، إنه مجرد ضابط عادي*، قال وهو يضع الدورق على الطاولة القصيرة :

((سمعتُ أن المحقق في القضية هو إدوارد دافيس)).
ردّ إيثان : ((نعم، سيادتك... إنه قائد فريق التحري الخاص في قضية جوناثان، هناك فريق آخر مكلف بتحري مقتل جيمس تحت إمرة المتحرِّي آنجل جونز، ومحقق واحد لويتني... جريمة قتلها عاديّة ولا تبدو بتلك الغرابة)).
قال توم : ((أرجوك، نادني توم... نحن في المنزل لا المحكمة))، ثم ابتسم وهو يتَّكئ ويعقد يديه على كرشه الضخم المنتفخ غرورا : ((إذن، إيثان... أفترض أنك تعمل مع أحد الفريقين)).
ابتسم إيثان في حرج وهو يحكُّ مؤخر عنقه : ((في الحقيقة... أنا فقط ضابط جذبه إلى هذه الجرائم غرابتها وغموضها الشديد)).

أخبِرْني أنا عن غرابتها وغموضها، فكّر توم في سخرية، مدينة سان دييغو بأكملها اهتزت إثر الجرائم التي زلزلت قلوب سكانها وأخرجت مخاوفهم الدفينة، أوّلا جوناثان الذي عُرضت صورته في الصفحة الأولى لكل الجرائد، لتشيع خلال لحظات بين الناس، تلك التي تعرض غلاما مُستلقيا افترش الحشرات وبها تدثّر، إذا دقَّقت النّظر فيها يمكنك أن ترى سيقانًا مُسنَّنة تخطو من فمه المفتوح!...صحيح أن الشرطة لم تسمح بتغطية الجريمتين الأُخريين، ولم تُدْلِ بشيء سوى أن التحقيق جارٍ إلا أنَّ الضباط مثل إيثان هذا استسلموا لزوجاتهم وأفشوا كل أسرارهم في الفراش، الأسرار نفسها التي أفشتها زوجاتهم لصويحباتهن بين رشفة شاي وأخرى، الأسرار عينها التي أفشتها صويحباتهن لأزواجهن في الفراش... هذا ما افترضه توم حين أخبرته زوجته **بأنهم يقولون** أنّ ويتني وُجدت مقتولة طعنا بعشر سيالات غُرست بعمق داخل عنقها، وأنّ جيمس في أمسية هادئة كأيٍّ أمسية أخرى نزل إلى أبيه صارخا والرغوة تفيض من فمه، وفي وجهه أحدثت مئة شظية زجاج ثقوبا أغرقته دماء غزيرة لدرجة أنها انسابت إلى عينيه وصيّرتهما حمراوين، أخبرته زوجته أيضا ووجهها مزيج بغيض من الإثارة والخوف

والحزن أنّ جسده كان موشوما بالكلمات في أكثر من عشرين موضعا، أخبرته أنه كانت هناك عين ماسونية على جبهته، ونجمة سُدّاسية على كلٍّ من خدّيه، كل خبر وشائعة تنتشر وتذيع بين الناس لابد أن يكون فيها شيء من المبالغة.

هذا ما أخبرته به زوجته فعزّز لديه النظرية التي تقول بأنّ أفضل وسيلة لنقل الأخبار ليست الإذاعة ولا التلفاز ولا الجرائد... أفضل وسيلة لذلك في العالم متواجدة في بيتك، وتحت سقفك، وهي بالطبع زوجتك وبناتك.

أخيرا قال توم محافظا على ابتسامته : ((وكيف بالضبط تمكّن ضابط من القبض على قاتل – هذا إن فرضنا وجود واحد - عجز عن إمساكه فريق من أفضل المتحرين؟)).
مال إيثان للأمام وقال وقد تاه زُهُوًّا : ((لم أقبض عليه... صدِّق أو لا تصدّقِ، لقد جاء لي بنفسه))، لا بد أنه لاحظ الحيرة على وجه توم فتابع : ((لقد اعترف... القاتل اعترف لي ولقد سجّلت اعترافه... هاك، اسمع، لقد أحضرته لك)).

التقط توم قرص التخزين الذي أخرجه إيثان من حقيبته المغلقة بكلمة سرية من الأرقام وحمله بحذر ورِفق شديدين كما لو أنه يحوي روحه ذاتها ثم أعطاه له، التقطه ثم سأل : ((من القاتل إذن؟)).

قال إيثان بلهجة مسرحية : ((القاتل هو... فتى في الخامسة عشرة يدعى جورج كان يدرس مع الضحايا في نفس الصف)).
- ((فتى في الخامسة عشر؟!!!... لا، لا يمكن))، صاح بهذا وهو يفكر :*كيف لفتى في الخامسة عشر أن يملأ بطن أحد بالحشرات وهو حي؟!...*

قال إيثان بلهجة واثقة : ((ستجد ذلك ممكنا بعد الاستماع لاعترافه، والآن هل أجد لديك حاسوبًا؟)).
أجاب توم وهو ينهض لإحضاره : ((أوه... بالطبع)).

بعد ساعة انتهى الاعتراف فمسح توم العرق عن جبينه، وتنفس بعمق محاولا تهدئة قلبه الذي كان يشعر به وهو ينبض في حلقه، جورج هذا حكى كل شيء بصوت بارد خالٍ من أيِّ إحساس بالذنب إلى أن وصل إلى الفتاة... تحشرج صوته حين بدأ يحكي عنها ثم عاد بعدها إلى البرودة، لا، لم تكن هذه برودة فحسب بل كان فيه شيء... شيء من... شيء من الاستمتاع! رغم أن صوت الفتى يخيف توم، إلا إنّه يروي خيالات وأحلام يقظة، لا يمكنك أن تعتقل أحدًا بجرم التخيل، لو كان ذلك مسموحا به قانونيًّا لكان نصف سكان الأرض الآن خلف الزنازين.

أوضح نقطته بصوت مرتجف للضابط، فأجابه : ((لا بد أنك لم تكن مركزا جيدا، جورج صرّح بتفاصيل لا يمكنه أن يعرفها إلا إن كان المحقق أو القاتل نفسه)).

قال توم مجددا وهو يسأل نفسه : *هل هذا تنبؤ؟...* : ((ولكنك لا تخطط بالطبع لتقول للقاضي في المحكمة أنَّ جورج قتل المتنمرين عليه بخياله)).

ردّ إيثان ضاحكًا : ((أوه، لا، طبعا لا، الأبله نفسه لن يقول هذا... سأخبرك بنظريتي، أظن أنّ جورج تخيُّل مقتلهم وهذا شيء لا يمكنك اعتقال شخص عليه، المشكلة أن جورج لم يتوقف عند الخيال، بل ذهب إلى منازل الضحايا وحقّق أحلامه، هذا ما اعتقدته واعتقلته بسببه، واثقٌ أنّ المحكمة ستثبت ظني وتُدِينه)).

حقَّق أحلامه!... يا له من تعبير ويا لها من أحلام!... ارتجف توم رغما عنه ثم قال : ((ما زلت لا أصدق أن طفلا فعل هذا... مهلا، هناك احتمال آخر وارد، ماذا لو أنه اعترف ليغطِّي جرم أحد آخر؟)).

- ((لا أعتقد ذلك... ثم من سيغطي على أيّة حال؟... أمَّه؟ أمُّه بدت مصدومة للقبض عليه، أظنُّها كانت لتعترف بكل جريمة ممكنة فقط لتُنجِي ابنها الوحيد من السجن، أبوه مات قبل سنوات، وخاله لم يتصل بهم منذ

شهر، ورغم أنه اتُّهم بالسرقة مرة إلا أن براءته أُثبتت، لديه عمٌّ أيضا ولكنه في دولة أخرى في قارة أخرى لذا فهو مستبعد)).
قال توم وهو يفكر بأنّ إيثان قام بتحرياته على أكمل وجه : ((أقْنَعتني بأنه لم يفعلها للتغطية على جريمة أحد))، قالها ثم نهض من على السرير وتوجه نحو المكتبة، حيث ارتفعت ذراعاه متجاوزتين كتب التاريخ الثقيلة وكتب القانون السميكة إلى الرف الأعلى وهناك وجد ما يبحث عنه، الدفتر والقلم، ولكنه حين سحبهما أسقط عن غير قصد مسدّسه الذي نسي أنّه وضعه هناك، مرّت لحظة توتر قصيرة بين توم والشرطي، فليس من الطبيعي في شيء أن تُرِيَ ضيفك الذي قابلته للتو سلاحك النّاري، كسر إيثان الصمت قائلا : ((مسدس أم – 9... إنَّه... إنّه نفس النوع الذي أستعمله)).
حمل توم المسدس من على الأرض، وأرجعه إلى مكانه ثم أجاب : ((نعم، علامةٌ رائجة، خليفة " سميث أند ويسون[12] " بامتياز، عذرًا لهذا)).
- ((لا حاجة للاعتذار إطلاقًا، لم أكن لأُخمِّن أنك تؤيد حمل السلاح الناري)).

عاد توم إلى مجلسه وردَّ : ((لا، لستُ من المؤيدين، وإنّما مع توفُّر كلِّ هذه الأسلحة الفتّاكة القاتلة لكل من يملك مالًا يكفي لشرائها، ونظرًا لعملي والذي هو إدانة المجرمين، لصوصا كانوا أو قتلة، والتسبُّب في سجنهم خمسا وعشرين سنة فما فوق، رأيتُ أنَّ من الأحسن بي ألّا أكون ضحيَّة سهلة، أنت تفهم ما أعنيه، أليس كذلك؟... القتلةُ الذين أَدَنْتُهم لن ينسوني، وسيأتي بعضهم لزيارتي حالما يُفرج عنهم، يراودني هذا الكابوس دائما ويأبى مفارقتي، هذه ليست بارانويا، بل هو حذر وحيطةٌ واجبة، أنت تفهمني، أليس كذلك؟)).

---

[12] سميث أند ويسون (smith wesson) : ماركة مسدسات أمريكية.

- ((بالطبع، أفهمك تماما، وأتَّفق معك في أن تبتاع سلاحا للدِّفاع عن نفسك ضد هؤلاء القتلة المجانين الملاعين، المسدَّس من ضروريات العيش في أمريكا، من الأفضل للمرء أن يتعلّم هذا قبل أن يُدسَّ به في "حقيبة الجثث"))، أطلق إيثان نخيرا ساخرا وقال، ((لا أعرف ما الذي يفكر به معارضو الأسلحة الناريّة الذين يرفضون امتلاكها أو استخدامها، ما الذي سيفعله هؤلاء حين يسطو لصٌّ على مساكنهم أو يقتحمها عليهم قاتلٌ ويُهدِّد أُسَرهم؟ أبغض هؤلاء الضعفاء وأمقتهم، أكرهُ الحِملان الذين يعيشون تحت رحمة الذئاب، مثيرون للشفقة!)).

فتح توم دفتره وقال وهو يخطُّ شيئا عليه : ((خرجنا عن الموضوع)).

اعتدل إيثان في مكانه وقال وهو ينظر إلى الدفتر بفضول : ((معك حق... ولكن ما ذاك الذي تكتبه؟)).

شمّر توم عن ساعديه الغليظين المُشعَّرين، وقال وهو يكتُب بالقلم الرصاص على الورقة الأولى : ((رؤوسُ أقلامٍ تساعدنا على معرفة ما لدينا))، ثم تابع موجها كلامه لنفسه أكثر مما وجهه لإيثان : ((لدينا جورج، المشتبه به...)).

قاطعه إيثان : ((إنه القاتل وليس مجرد مشتبه به)).

- ((في المحكمة، المُتَّهم بريء حتى يتم إثبات ذنبه))، قالها توم بهدوء ثم أكمل : ((المشتبه به في الخامسة عشر، مريض نفسيا ربما، وهو ما يفسر اعتقاده بأنه يقتل الناس بخياله، قتل اثنين بدافع الانتقام، وواحدة بدافع...؟)).

- ((الفضول ربما، لقد قال شيئا عن أنه لا يريد لأحد أن يطّلع على كتاباته))، اقترح إيثان هذا دون تفكير.

- ((نعم، ربما... ولكن لماذا اعترف؟... هذا هو السؤال المحيِّر)).

ردَّ إيثان في ازدراء وسخرية : ((الفتى غبي أحمق، كان عليك أن تراه)).

تابع توم دون أن يسمعه حتى : ((لقد قال شيئا في التسجيل... قال أنه كان سيذهب إلى طبيب نفسي، قال أيضا أنك وعدته)).

أطلق إيثان نخيرا ساخرا وقال : ((وعدته بأني سأساعده في الحصول على المساعدة الطبية التي يحتاجها)).
قال توم : ((كان ذاك خطأ منك... لقد أخذت اعترافا بوعد أخلفته)).
أجاب إيثان في استهانة : ((إنها طريقة "الشرطي الطيِّب والسيء[13]")).
((لا يمكنك أن تستجوب فردا لم تشتبه به، لقد أُخذ الاعتراف تحت ظروف يمكن أن تستعمل ضدك في المحكمة))، قالها توم وهو يضغط على صدغه بشدة.

لقد أفسدها إيثان، ولكن ما زال هناك أمل، إذا كان الدفاع ضعيفا فلن يسأل عن هذه النقطة، قال وهو يفكر كيف أن الولد جاء بإرادته هلعا يريد أن يتوقف عن أفعاله، فوعده الشرطي وأخذ منه اعترافه، ثم لم تمض ثانية واحدة حتى خان ثقة الصبي : ((ألا يُحزنك أن ترى مريضا نفسيا يَقتُل عن غير وعي فيعترف راجيًا مساعدة، ثم يُجازى على توبته بالسجن حيث ستكون حياته في خطر؟... أعني... الفتى وضع ثقته فيك)).
- ((لا يحزنني إطلاقا))، قال إيثان بلهجة حازمة، ((لا تحاول أن تجعلني أتعاطف مع قاتل لأنني لن أفعل أبدا، سقيم العقل كان أو سليمه، أعدك أنني سأتأكد من نيل ذلك القاتل لجزائه)).

سنرى إن كنت ستحافظ على ذلك الوعد أم تنقضه كذلك، قالها توم لنفسه ثم ابتسم للضابط : ((حسنا... إذا كنت مصمما على ذلك فعلا فعليك أن تتخلى عن قضيتين)).
سأل إيثان : ((ماذا؟... قضيتان؟... ولماذا بالضبط سأفعل هذا؟)).

شرح توم وجهة نظره على الورق : ((حسنا... الأولى هي قضية جوناثان، قضية غريبة وشاذة في تاريخ الإجرام، أنا نفسي وغيري الكثيرون صنفتها مع الخوارق - التي لم يجد لها العلم تفسيرا حتى الآن - جنبا إلى جنب مع

---

[13] طريقة يستعملها الشرطة في الاستجواب تدعى " good cop bad cop technique" حيث يتناوب اثنان على استجواب المشتبه به، أحدهما يقوم بالترهيب والتهديد والآخر يقوم بالترغيب بتخفيف الحكم وغيره.

الاحتراق الذاتي، كيف يمكنك أن تثبت أن جورج دسَّ الحشرات في بطن جوناثان؟)).
- ((إنه مولع بالحشرات))، رد توم كما لو أن ذلك برهان كافٍ.
أجابه توم : ((الكثير من الناس مولعون بالحشرات، كثيرون في الولايات المتحدة يعتبرون عناكب الرتيلاء حيوانات أليفة ويملِّسون على شعرها، ويأكلون الوجبات إلى جوارها، هذا لا يكفي كدليل في المحكمة)).
قال إيثان مستميتا في الهجوم وكأنه في محاكمة حقيقية : ((ماذا عن تطابق أسماء أنواع الحشرات وألوانها وأحجامها، سيادتك؟... كيف يمكنك تفسير هذا؟)).
خطّ توم في الورقة الكلمات وهو ينطقها في الوقت نفسه : ((أولا... الصبي لم يُدل بالأسماء كلها بل بنصفها فقط... ثانيا... لقد قال أنه تخيل مجموعته التي سحقها جوناثان، تخيل تلك الحشرات وهي داخل بطنه ولم يدُسّها فيه...)).
قاطعه إيثان وقد احمرّ وجهه وبدأ اللعاب يتناثر من فمه : ((قلتُ لك من قبل أنه حقق تخيلاته)).
- ((أي أنه دسَّ المجموعة التي سُحقت داخل جوناثان))، ابتسم توم بعد أن رأى هجوم إيثان يتهاوى وتابع، ((الصحف أعلنت أن الحشرات كانت سليمة تماما)).
- ((لا بد أنه حصل على حشرات أخرى من نفس أنواع مجموعته السابقة)).
- ((لا بد أنه لم يسبق لك أن مارست هواية التّجميع من قبل))، قالها توم في ضيق من إصرار إيثان الشديد.
قهقه إيثان ملء فيه وقال : ((طبعا لم يسبق لي، وقطعًا لن أمارسها مستقبلا، يا إلهي!.. حتى لو كانت تلك الهواية الوحيدة الموجودة في العالم فلن أمارسها...ما المثير في الحشرات على أيّة حال؟... كائناتٌ حقيرة مقززة لا

فائدة منها ولا نفع، لا تصلح إلا للسحق... نعم، تلك ستكون هواية جيدة متعلقة بها، سحق الحشرات، هذا أفضل من جمعها بكثير)).

- ((لكل إنسان اهتماماته))، قالها توم وقد بدأ يكتشف من هو إيثان حقا، إنه نسخة من جوناثان، **سحق الحشرات أفضل من جمعها**، لا بد أن هذا ما فكر به جوناثان قبل أن يدمر مجموعة جورج الخاصة، ((كنتُ أريد إخبارك أنّ جامعي الحشرات يأخذون عينة واحدة لا أكثر من كل نوع كما أن بعض الأنواع نادر جدا، ثلاثة خنافس من مجموعة جورج نادرة للغاية ولا أظن أنه قد يعثر على واحدة أخرى بسهولة، لا بد أنه اشتراها أو استعارها إذن، ما دامت ليست من مجموعته الخاصة، وهنا تكمن المشكلة... لم يجد إدوارد المحقق أي بصمات على الخنافس ولا يبدو جورج هذا من النوع الذي يهتم بإخفاء البصمات... المرء لا يخفي بصماته ثم يَقدُم إليك معترفا غدا... ثالثا، في مسرح الجريمة لم يتم إيجاد حمض نووي لغير الوالد وبعض أصدقاء جوناثان من بينهم جيمس وريتشارد، ولكن ليس جورج، والآن كيف ستقنع القاضي أن جورج هو القاتل بينما الحشرات نظيفة من بصماته والحمّام كذلك، ولا وجود لشعرة أو قلامة ظفر يمكن استخلاص حمضه النووي منها؟.. هذا أمر مستحيل، القاتل لا بد أن يترك أثرا ولو باهتا خلفه، ولكن لا وجود لهذا الأثر في هذه القضية، لذا لا يبقى لنا سوى أن هذه الحادثة ميتافيزيقية لا أسباب منطقية لها، ورغم أن هذا يبدو عصيا عسيرا للتصديق إلا أن المحقق إدوارد يائس وقد بدأ يميل إلى هذه الإجابة وهو على وشك إغلاق القضية)).

قال إيثان وقد بدأ اليأس يتسلل إلى نبرته : ((ماذا عن جيمس؟)).

أجاب توم : ((ذلك الفتى وُجد موشوما بالعبارات، فهل تُطابق وشومه كل ما رواه الصبي؟)).

- ((أجل، بالتأكيد، ولا حتى وشم واحد في غير موضعه)).

- ((مع ذلك، أشكُّ في أن طفلا في الخامسة عشر يعرف عن فن الوشم

شيئا)).
- ((كنت في الخامسة عشر فقط حين ذهبت إلى محل وشم مع صديقي ورأيته يحصل على وشمه الأول)).
- ((بناء على حكاية جورج، لا يبدو أنه ذهب إطلاقا إلى واشم في حياته، يبدو كما لو أنه يكره الوشوم ويخاف ألمها ربما، لهذا استعملها كتعذيب، حتى لو كان يعلم كيف يَشِمُ الناس... أخبرني كيف تسنّى له أن يَشِمَ جيمس وهو حيٌّ مفيق دستة من الأوشام، ويرغمه على فعل كل تلك الأشياء الشنيعة، ثم يُشعِل عنقه ويُطلِق سراحه لينزل السلالم إلى أبيه؟)).
- ((لا أعرف... لماذا لا تسأله هو؟))، قال إيثان في ضيق.
أجابه توم وابتسامة النصر تعلو محيّاه : ((" لا أعرف " هي العبارة التي لن تريد القاضي أن يسمعك تقولها ولهذا...)).
قال إيثان حانقًا: ((أظن المحاماة أنسب لك من الادعاء)).
- ((على العكس... جزء كبير من كوني ماهرا في عملي كمدّعٍ عام أني أتوقع دفاع المحامي وأجهز له قبل أن تبدأ المحاكمة))، توقف ثم تابع : ((الأمر مثل الشطرنج... تتوقع حركات خصمك فتتغلب عليه)).
نخر إيثان قائلا : ((الشطرنج لذوي الجباه المنتفخة!))، قالها ففكر توم : *ذوو الجباه المنتفخة؟!!... ماذا يعنيه هذا بحق اللعنة؟!!* تابع إيثان، ((ما الذي يدعوك إلى الاعتقاد بأن قضية ويتني هي فرصتنا الوحيدة لإدانة هذا القاتل اللعين؟)).
- ((أظن أنها أكثر واقعية وقابلية للتصديق، علينا أن نجد شهودا... علينا أن نعرف المحامي الموكل بالدفاع عن جورج... هناك القليل من المحامين المحترفين الذين يستطيعون الوقوف أمامي، ولكن قبل هذا، أأخبرت فريق التحقيق بما وجدته؟)).
أجاب إيثان : ((لا... ليس بعد)).
- ((عليك أن تسرع بذلك، أخبر فريق التحقيق إن كانت هناك أي بصماتٍ

مطابقة لجورج... إن وجدنا هذه فتساعدنا كثيرا، ولكن إن لم نجد...)).
- ((إن لم نجد... ماذا سيحدث؟)).
- ((فرصتنا ستكون ثلاثين بالمئة لإدانته، فالمحكمة لا تعترف بالخوارق، ولا تُدين المتهمين إلا بأدلة قوية ضدهم، حسنا، إذن... أراك فيما بعد... وداعا)).

قاد توم إيثان إلى الباب، ثم عاد ليحضر قرص التخزين الذي طلب إيثان استعادته، ثم ودّعه مجددا وأغلق الباب.
بعد ربع ساعة، كان توم يقود سيارته رفقة أسرته الصغيرة إلى الشاطئ، كان الوقت مساء وكانت الشمس تزحف إلى الغرب في حركة وئيدة، كان توم مشتّتًا بما سمعه في ذلك التسجيل...
(أمرتُه "كُل الصابون!")، (ثلاثمئة ساقٍ تجري متسلقة عنقه)، (وضعتُ السّيالات والأقلام على صدرها والمباري والمماحي على ساقيها ثم أغلقتُ فكي برقة على...)، توقّفْ... توقفْ، أيُّ خيالٍ مريضٍ هذا؟!
صرخ في نفسه محاولا طرد عبارات جورج التي راحت تتردد في عقله بلا توقف، التسجيل علق بذهنه وسيبقى هناك للأبد، فجأة صاح مشدوها وهو يحدق إلى اللوحة التي كُتب فيها اسم الشارع، إنه شارع " ليمونا "! لقد وصل عن غير وعي منه إلى المنطقة التي زعم الفتى أنه تخيل الجرائم فيها، شارعٌ طويل يمتدُّ ثلاثين مترا قبل أن يرتفع صعودًا على تلّة، *اللعنة! كيف وصلتُ إلى هنا؟...* هذا ليس طريقه المعتاد إلى الشاطئ...
هل هذا بسبب لا وعيه الذي التقط اسم الشارع حالما سمعه في التسجيل؟ أم... أم أنّ شيئا خارقا شريرا في الشارع اجتذبه؟!!

بدت له الفكرة مخيفة، تمتم : ((سألتفُّ وأعود، لقد أخطأت الطريق، لا بد أني تجاوزت منعطفا)).
أجابته زوجته : ((لاحظتُ أنك أخذت طريقا مختلفا عن المعتاد، ولكني ظننت أنك تعرف ما تفعله، كيف حدث هذا؟... هل كنت شاردًا؟)).

سمع ابنيه يقولان من المقعد الخلفي : ((هل سنتأخر بسبب هذا يا أبي؟)). أجابهما : ((لا، لا... سنصل مبكرا وستسبحون كثيرا حتى أنكم ستتحولون إلى أسماك)).
ضحك ابنه نيكولاس، فيما اشتكت ابنته سارة : ((لا أريد أن أكون سمكة، أريد أن أصبح حورية بحر)).
يا للبراء... اللعنة!... الشارع ضيق، وسيارة كبيرة مثل الجيپ التي يقودُها لن تلتفّ أبدا هنا، سأرجع للخلف إذًا، المهم أن أخرج من هذا المكان الملعون، قال لنفسه وهو يشعر كما لو أنه فأر انجذب نحو جبنة فوقع في الكمّاشة، وهو الآن يحاول الفِكاك منها فلا يستطيع، بدأ تنفُّسه يتسارع فجأة وأحسَّ كما لو أنه يختنق.

نظر خلفه فلاحظ بالكاد سيارة " كِيا " الصغيرة المتوارِية خلف سيارته الضخمة كفأر خلف فيل، كان صاحبها عصبيا كما يبدو فقد راح يُطلق بوقه ويصيح فيه : ((هيا، تحرك... ليس لدينا فائض من الوقت مثلك)).
- ((أريد أن أخرج... سأغير الطريق))، صرخ راجيا أن يتفهم ذلك الشاب العصبي. ((لا، لن تخرج... السيارات بدأت تصطفُّ بالفعل خلفنا، أكمل طريقك وفي نهاية هذا الشارع يمكنك أن تعود عبر الطريق الذي إلى يمينك)).

اللعنة!... لقد جذبه الشارع وها هو يدفعه إلى أن يتقدّم نحو فخه المميت طواعيةً!

بدأ يشعر بحنجرته تضيق، وتنفسه يزداد صعوبة، وراحت يده تتحسَّسُ المسدّس في جيبه لا إرادِيّا، قال بصوت مخنوق : ((تبا!... افتحوا النوافذ... افتحوها)).
أسرعت زوجته وابناه بتلبية أمره خشية غضبه ربما، أو خشية عليه، سمع زوجته تسأل مذعورة : ((ما بك؟ هل أنت بخير؟)).

وسمع الشاب في السيارة خلفه يصرخ فيه : ((هاي... عليك اللعنة!... تحرك، ليس لديّ وقت أضيِّعه في سبِّك!)).
تعالت زمَّاراتٌ أخرى خلفه وفجأة فاقت الأصوات قدرته على الاحتمال، أراد أن يصرخ فيهم جميعا : ((هذا الشارع ملعون!... ألا تفهمون يا حمقى؟!))، لقد بدا له الأمر واضحا الآن، كل تخيُّلات الفتى حصلت هنا، كان دائما يفيق فيجد نفسه متوقفا وسط هذا الشارع بالذات، ثلاث مرات فلا يمكن إذًا أن تكون مصادفة، قال له صوته المنطقي : *الشارع يقع في طريق الصبي إلى بيته، أمر طبيعي أن يتخيل عنده انتقامه من جوناثان وجيمس بعد أن أبرحاه ضربا خارج المدرسة، وهذا التفسير يُؤخذ به فقط في حالِ وثقنا بصدق قول جورج وقوة ذاكرته.*

تعالى صوت الشاب بالسِّباب فردَّ عليه توم – الذي كان دائما حليما – منفجرا في غضب : ((تبّا لك!... ما الذي يعجِّلك لهذه الدرجة؟... هل أنت ذاهبٌ لتلاقي جو بايدن؟!)).
- ((زوجتي في المستشفى... إنها على وشك الولادة!!!... ابتعد الآن وإلا سأنزل وأهشم رأسك!)).
زوجته في المخاض؟!!... وأنا أحتجزه هنا فقط لأني خائف من شيء لا دليل على وجوده إلا هذيان فتى مختل، علي أن أتحرك...

قال : ((آسف))، وضغط على الدوّاسة وهو يرى على المرآة الأمامية باب السيارة خلفه يُفتح ثم يُغلق بقوة، *كان على وشك أن يخرج!*
تحرَّك توم بسرعة معتدلة فيما عاد صوت جورج المُسجَّل يصدَحُ في قاعات عقله ليُسرّع نبضات قلبه إلى أقصى حد...
(الجعران يدحرج كرة روث على لسانه!)، (تدلّت ساقٌ من محجر عينه!)،
(البس قفازي الدلك على قدميك)، (اغسل عينيك بالفرشاة)،
(صدّقتني؟ اقتل نفسك!)، (انطح الجدار، والكم المرآة)،

(يشرب الحبر من السَّيالات، ويقضم الأقلام، ويبلع الأوراق ثم يتحول إلى وحش، حين لمَحتْ وجهه تعرّفتني في ملامحه).

أحاطتِ الأصوات بعقل توم وحاصرته، فراوغ بنظره إلى اليمين واليسار محاولا تشتيتها، ونجح في ذلك، رأى إلى يساره ورشة ألمنيوم، وفي وسطها كانت طاولة كبيرة ثُبِّت إليها ذلك المنشار الكهربائي الدوّار، ليس بعيدا إلى جانبها كان طفل يقارب ابنه في السن، وعلى الجهة الأخرى من الطاولة وقف الأب نجّار الألمنيوم، تجاوز توم الورشة بسيارته، أمر عادي، ابن يريد أن يرى عمل والده، أب أخذ ابنه معه لكيلا يزعج أمه في المنزل، ولكن هذا الأمر العادي تحوّل إلى...

بعد ثوانٍ من تجاوز توم للمحلِّ، برزت صورة من العدم في عقله، كما لو أن الصورة كانت هناك من قبلُ متسرِبلةً بالظلام، ثم سلَّطَ أحدهم الضوء عليها فجأة، رأى ذلك الطفل في الورشة منحنيا على الطاولة، ورأى المنشار الكهربائي يدور حافرا خلال وجهه وجمجمته بينما دمائه تتطاير وتتناثر مُلطِّخةً قميص أبيه الأبيض!

وخلال لحظة تلاشت الصورة بسرعة كما ظهرت، كما لو أن الشخص الذي أنار المصباح داخل عقله أسقطه وولّى فارًّا وقد مُلِّئ رعبا!

كبح الفرامل فجأة وهو يفكر : *ما هذا؟!... بحق المسيح ما هذا؟!!... لقد رأيتُ للتو الطفل يموت، رأيتُ وجهه يُمزّق إربا، إذا كانت قصة جورج حقيقية فما تخيلتُه سيتحقق!... سيموت الطفل البريء بعد لحظات أمام عيني أبيه!!!* انتظر توم صيحة لم تأت، كل ما سمعه بعدها هو أبواق السيارات تتعالى في جوقة تكاد تدفعه للجنون، أخيرا تحرك ليُخرسها، وعاد إلى سرعته الطبيعية، وهو يقول لنفسه : *يا لي من غبي!... كدت أصدق ذلك، كدت أصدق كلام مُعتلِّ العقلِ ذاك!...*

لمح محلًّا للأدوات المدرسية فتذكّر، *آه... هنا على حائط هذا المتجر اتكأ جورج حين أفاق من هلوسته، جورج الذي كاد حقا يُقنعني أنه يمكنني أن...*

مرق الصوت قاطعا تفكيره كسيف الجلّاد يهوي على عنق المجرم، صوتُ صياح طفلٍ وبكائه وصرخات رجل فزعة، انتصب الشعر الكثيف على ساعدي توم، فيما ارتجفت يداه، وتعرَّقت قبضتاه اللّتان تعلّقتا بإحكامٍ بالمقود.

لقد قتلتُه!... لقد تحقق خيالي!... كان هذا ما جال بباله قبل أن يندفع عائدا عبر الشّارع، دارت العجلات بسرعة شديدة ولاحقت مؤخرة سيارته - التي يزيّن وسطها ذلك القرن الذي خُصص لصدِّ الصدمات واختراق مقدمات السيارات - مقدمة سيارة الشاب العصبي الذي تراجع بها هلعا من هذا الهجوم المباغت، وخلال دقيقة كانت كل السيارات المصطفَّة خلف الجيپ تمشي للخلف، لا، ليس تمشي بل تجري للخلف فرارا بحياة سائقيها، تعالت الأبواق المذعورة من أربعة سيارات خلفه، وتعالى معها صياح زوجته وصراخ ابنيه ولكن توم لم ينتبه لكل هذا، كان مركِّزا على شيء واحد... صورة وجه الابن والمنشار يحفر نفقا داخله، وحين بلغ ورشة الألمنيوم دون أن يصدم – بمعجزة ما – أحدًا رأى....

الابن ممتقع الوجه، بينما أبوه يتخلَّص من بقايا عقرب في الخارج، أما المنشار فكان مفصولا عن الكهرباء ينظر إليه نظرة مسالمٍ بريء.

لقد كان عقربا!... الحمد لله!!!... الحمد لك يا رب!... خيالي لم يتحقق... فكرتي القاتلة لم تقتل أحدا، هذا ما فكر فيه توم بينما قلبه ينبض بقوة، ويضخُّ الدم مفجِّرا الأدرينالين في عروقه، وفيما كان ملتفتا ناحية ورشة الألمنيوم لم يصل إليه صوت إغلاق باب سيارةٍ ولم يعرف أنّ أحدا خرج إلى أن صاحت زوجته : ((توم!))، وفي ذات اللحظة أطبقت ذراعٌ على ياقة قميصه ذي الأزرار فيما أحسَّ بالثانية تغوص قبضتها في وجهه.

لقد لكمني!... أدرك توم ذلك حين سمع سباب الشاب الثائر: ((أيها الحقير...))، كان هذا ما سمعه قبل أن تتهاوى اللكمات على وجهه، رفع ذراعيه يصدها بعد اللكمة الثالثة وأمكنه رؤية ذلك الشاب الهائج ذي العضلات المفتولة والصدر المنتفخ، ولكن توم أيضا نافر العضلات، لم يتعارك مع أحد بالقبضات منذ زمن، ولكنه اعتاد أن يفعل حين كان في مثل سِنِّ هذا الشاب. اندفعت قبضة توم تمسك ذراعه وتسحبه ليصدم ذلك الشاب رأسه بإطار النافذة الحديدي، وحين فعل، برز فمه من النافذة وظهرت أسنانه البيضاء كأجمل ما يكون قبل أن تندفع قبضة توم الأخرى لتهشمها، شعر بملمسها ولزوجة اللعاب والدماء على قبضته قبل أن يفلت ذراع الشاب ويتركه يتراجع مترنحا مبتعدا عن الباب، فتحه توم ورغبة شديدة في تحطيم هذا الصبي الأصغر منه بعشرين عامًا تعتصره، كان يرغب في أن يفرغ كلّ توتره وأفكاره السوداء عليه، وخلال لحظة وجد المسدّس قد انتقل من جيب سرواله إلى يده، ووجد إصبعه محيطا بالزِّناد، يكاد بضغطة واحدة ينهي حياة هذا البائس، توسّل الشاب الرحمة بعد أن أدرك أنه يواجه الموت في الماسورة، فتوقّف توم وأنزل مسدسه متمالكا أعصابه، ولكن الشاب وثب عليه بغتة، وهو يصرخ بفمه الدامي بجنون : ((سأقتلك!.. سأقتلك!)).

جيد أن ثلاثة من الرجال حالوا بينهما وإلا لكان توم رماه بالرصاص، بعد أن هدّأهما الرجال قالوا له أن يقود حتى آخر التلَّة، وهناك يمكنه إذا شاء أن يرجع، أو يركُن.

قاد توم المركبة إليها وركنها وهو يفكر : ذاك *التسجيل الشيطاني سيطر على تفكيري حين وصلتُ إلى هذا الشارع بالذات حتى أني توهمت أنه يمكنني أن أقتل الناس بالهلاوس، كيف لرجل بالغ راشد مثلي أن يعتقد بهذا؟!... لا بد أن مجموعة من الظروف والعوامل صَدَفَ اجتماعها معاً أدّت إلى ذلك.*

عبر الشاب بسيارته متجاوزا إياه، وتجاوزه الآخرون أيضا مودِّعين بشتيمة صامتة تنطق بها أصابعهم الوسطى، لم يأبه لهم توم بل التفت لزوجته وضمّها إليه وهو يقول : ((اهدئي... اهدئي)).

- ((لماذا... لماذا كنت تتصرف هكذا؟... كدت تقتلنا)).

- ((لم أكن بخير، كنت مشتّتا بغيمة من الأفكار السوداء))، قال لزوجته غير راغب بإخبارها بأمر التسجيل، لأنه واثق من أنها ستخبر صويحباتها بأمره في أول حفلة شاي، وصويحباتها بدورهن سيخبرن أزواجهن فور أن يلامس أقدامهن الدِّثَار.

- ((أتشعر بتحسُّنٍ الآن؟... يمكننا أن نؤجل السباحة... أظن أن عليك...)).

- ((لا، لا، أنا أعمل على قضيّة أخرى وقد لا أجد وقتا غداً، سيسبح الأطفال اليوم، وستتحوّل سارة إلى حورية بحر، أليس كذلك يا صغيرتي؟))، قال مُتكلِّفا ابتسامة فأجابته ابنته مُتكلِّفة إيماءة.

كانوا على وشك بلوغ نهاية الشارع الذي أيقن توم من أنه لن يعود له أبدًا، بقيت بضعة أمتار من التلة صعدها توم وهو يفكر : *ماذا لو أن الخيال يقتل فعلا؟... ماذا إذا كنتَ قادرا على قتل أحدهم فقط بتخيله يموت؟... هل ستقتل؟ ومن ستقتل؟*

بالنسبة لتوم كانت الإجابة واضحة، لديه القليل من الأعداء ولكنه يذكر أساتذته في الثانوية، ولا يزال يذكر كيف أن اثنين منهما بالضبط كانا لئيمين وبغيضين، وبسبب خصمهما للنقاط منه لم يستطع أن يصبح سفيرا كما أراد ووُجِّه إلى " الحقوق"... *عليهما اللعنة!*... أستاذ التاريخ الأمريكي والجغرافيا، وأستاذة الأدب الإنجليزي...لو كان بإمكانه قتلهما فقط بالتفكير فليس لديه أدنى قطرة شك أنه س...

وفجأة غاص توم حتى ناصية شعره في رمال متحركة من الخيال...

رآهما معًا في الحمّام!... كانت أستاذة الأدب الإنجليزي في الخمسين، ذات وجه شبيه بالخنفساء، في تجاعيده ترى القسوة، ولا تلمح الرحمة ولا حتى الشفقة، كانت تلبس نظّارة شمسية، وقميصا قطنيا، وسروال بيجاما للنوم، تذكّر توم فجأة أنها كانت غريبة الأطوار، تأتي إلى الثانوية بذلك السروال الوردي!... خلفها كان المعلم واقفا يمضمض فمه وفي يده فرشاة أسنانٍ، سالت قطرات من الماء على لحيته الفاحمة السواد، *ذلك المدرِّس كان يُفضِّل الفتيات علينا، يضحك معهن ويمزح، فيما لا نلقى منه نحن إلا الاستهزاء والتوبيخ والطرد والاستدعاء.*

لماذا هما معاً في نفس الحمّام؟!... هل تزوجا؟!!!... سأل نفسه ثم قهقه في سره : *يناسبان بعضهما حقا!... رجل في الثلاثين وحيزبون في الخمسين!!!... حسنا، هذه هدية الزفاف مني إليكما يا أستاذيَّ العزيزين، أحضرتها معي لأني لم أنس فضلكما ولا أثركما على حياتي، لا، لم أنسه أبدا... أبدا.*

تخيل يده تخرج من المرآة - التي فقدت صلابتها وصارت سائلة - محيطة بالمسدس، سبّابته على الزِّناد، تخيّل ملامحهما المرتعبة المصدومة بكل تفاصيلها...المعلم يُفرغُ ما في فمه من ماء وصابون دفعة واحدة ليُبلّل قُطنيّة زوجته، ويُسقطُ الفرشاة، ثم يصيح بشيء ما فزعا، وفي عينيه الهلع وعدم الفهم...

ستفهم قريبا!... قال لنفسه وهو يدُسُّ المسدس في صدر الأستاذة ذات وجه الدعسوقة الذي التوى الآن في خوف مطلق، *ستفهمين أنتِ أيضا أيتها الحمقاء التي لا تفقه شيئا في الأدب الإنجليزي! فرانكنشتاين هو اسم الطبيب الذي صنع المسخ وليس آينشتاين أيتها الجاهلة!*

فكرّ في هذا قبل أن يضغط بسبّابته على الزناد، ثم يُطلق مجددا على الرجل الذي جرى هاربا، لتُصيب طلقته - لحظة تجاوزت قدمه اليسرى باب الحمّام - في دقة مستحيلة صدغه وتُرديه صريعا، نصفٌ خارج الحمام، ونصفٌ داخله.

اخترق توم المرآة وخطا داخل الحمّام على مهل مستمتعا بكل لحظة، ظهر رشاش من العدم فجأة في راحته، *الخيال ليس له حدود!*... فكر في هذا وضحك وهو يُطلق ليملأ الجثتين بمئة رصاصة... الدماء تتطاير... الأجساد تتراقص... وهو يرى كل هذا ويقهقه مفكرا : *أعدكما، لن أترك موضعا فيكما بلا رصاصة داخله!*

أفاق وزوجته تصفعه قائلة : ((توم... توم... ما الذي أصابك؟!... توم...)).
استيقظ وأدرك أنه توقف وسط الطريق فأسرع ينطلق مجددا وهو يبتسم مفكرا: *أحلام جميلة!... ولكنها لن تتحقق بالطبع...* قال لزوجته : ((لا تقلقي... كان فقط حلم يقظة))، واندفع مغادرا الشارع.

****

فتح إيثان حاسوبه المحمول وشغّله، ثم أشعل سيجارة ريثما تظهر واجهة المكتب، انتقلت عيناه لحظة إلى علامة "توشيبا" المكتوبة أسفل الجانب الأيسر من الشاشة، قبل أن تركزا مجددا على الخانة التي ظهرت تطالبه بِملئها بالنقاط، أدخل كلمة المرور والتي كانت " مستر پوارو "، فاختفت الكلمة وسُمح له بالدخول.
في عجلةٍ سجّل دخوله إلى الفيسبوك، وأرسل رسالة قصيرة إلى توم.
((محاميته هي آمي تورانس))، كان هذا كلّ ما كتبه، فإيثان كغيره من الناس نجح الماسنجر في تحويله من ثرثار كثير الجعجعة إلى سكرتير مُختصِرٍ.

انتظر الردّ بفارغ الصبر، ولكن بعد خمس ثوان نفد صبره، ما له لا يرد؟!... مهلا... إنه ليس متصلا بالأنترنت أصلا.
غادر الصفحة وعاد يستمع إلى التسجيل من جديد، *تلك المرأة الوقحة... كيف بالله أجبرتني على إعطائها نسخة؟...* فكر في غيظ وهو يتذكر قدومها.
دخلت في ثقة عارضة أزياء، واستطاع ملاحظة نظرة الازدراء في عينيها، تلك النظرة التي رَمَته بها، كان راغبا في اعتقالها فقط لأجلها، لم تصافحه فقد

بدت ذاك النوع من الناس الذي يخاف من العدوى، ولكن إيثان لم يكن كذلك فهو لا يصدق بأن الكورونا يمكن أن تستمر لأكثر من سنة، رمقها وهو يفكر : *ستموتين بعد خمسين عاما وأنتِ لا زلت تضعين تلك الكمّامة!*
عرَّفتْ عن نفسها وسألته بأيِّ حقٍّ احتجز واستجوب مُوكلها، فردّ بأنه جاء بإرادته الكاملة واعترف، سألت أين هو، فأجاب أنه في غرفة الاحتجاز، قالت أنها تريد نسخة من ذاك الاعتراف، ثم ذهبت تخطو داخل مقر الأمن وكعبا حذائيها يطرقان الأرضية بصوت مسموع فيما ترفرف تنورتها القصيرة حول ركبتيها، فكر: *إنها لا تعرف أين مكان الغرفة!...* قبل أن يجيب نفسه *: الساقطة اللعينة! تتوقع مني أن أتبعها وأُرشِدها كما يفعل الخادم!...*
التفتت له وقالت : ((أسرع أيها الضابط، ليس لدينا اليوم كلّه)).
عليها اللعنة!... من تعتقد نفسها؟... عليها أن تستأذن منه وفقط إن سمح لها تطلب حينئذ مرافقته، هذا ما كان عليها أن تفعله ولكنها عادت إليه وقالت : ((المحامي له الحق الكامل في مقابلة موكِّله، لذا إما أن تأخذني إليه، وإما أن تُسؤل عن حرمانك المتهم الحق في الدفاع عن نفسه في المحكمة)). تهدده أيضا!... ((اركعي تبًّا لك وقبِّلي حذائي متوسلة!))، هذا ما أراد أن يصيح به، ولكنه وجد نفسه يقودها صامتا ويفتح لها الغرفة، ثم يتركها هي وجورج لوحدهما حين طلبت منه الانصراف.

لقد استعبَدَتْني!... لقد فعلت، تلك الكلبة الحقيرة!... قال لنفسه حانقا، ثم عاد يركز على التسجيل الذي وصل لعشر المدة الآن دون أن ينصت لحرف منه. استمع له فوجد جورج يسمي ما لديه من حشرات في مجموعته، أثار ذاك ضيقه فاختار نقطة عشوائية من الأوديو وتجاوز إليها...

- ((الشينيغامي؟...)).
- ((أجل، إنه إله الموت - في الميثولوجيا اليابانية - الذي يقرر من يحيا ومن يموت)).

أوقف الأوديو بعد أن أصغى لهذا، وفكّر: *اليابان حقا بلد ذو تراث غني، وثقافة فريدة، الشينيغامي، النينجا، الساموراي، السومو، الكاميكازي،*[14] *لديهم حتى طريقة انتحار خاصة بهم، اسمها "هارا- كيري*[15]*" حسبما أذكر.*

ثم عاد إلى الماسنجر من جديد وأبرق رسالةً... أقصد أرسل برقيّة إلى صديق له يحيِّيه، ثم استرخى على كرسيه وتثاءب مسرورا لِخُلُوِّ جدوله اليوم من الواجبات، أغلق عينيه هنيهة، قبل أن تُلقي طائرة حربية على رأسه قنبلة مخطوطٌ عليها "**نسيتَ شيئا!**"، أسرع يدخل الفيسبوك من جديد، ويُرسِل رسالة أخرى بأقل عدد من الكلمات : ((لا بصمات مطابقة لجورج)).
كان قد مرَّ على صديقه - أو لنقل جاسوسه - في فريق التحريات نوح كلارك، وسأله إن كانوا قد وجدوا بصمات تطابق تلك التي لدى جورج في مسرح الجريمة، بصماتُ هذا الأخير أخذها منه بسهولة شديدة بعد أن تركه بلا ماء لخمس ساعات ثم أعطاه كوبا، الأحمق أمسك بالكأس بكلتا يديه، وشرع يشرب دون أن يضع للبصمات حسابا، المشكلة أنَّ صديقه - أو جاسوسه كما قلنا - أبلغه أنّه لا توجد بصمات مماثلة في مسرح الجريمة.
هوت قنبلة أخرى كالسَّابقة على دماغه فكتب بسرعة : ((تفقَّدتُ كذلك مقلمة الصبي، فعثرتُ على ذات الماركة التي اُستُعملت في جريمة ويتني، تماما كما قال)).
ثم ترك توم إلى ابنه بيل بعد أن لاحظ أنه لا زال غير متصل، سأله ابنه عن

---

[14] وهو أسلوب هجوم ياباني شاع استخدامه خلال الحرب العالمية الثانيةّ، حيث يندفع الطيار بطائرته ويصدم بها سفينة العدو الحربية مضحيا بنفسه.

[15] طريقة انتحار يابانية تدعى " hara-kiri " يقتل بها الساموراي نفسه مفضلا الموت عزيزا على الوقوع في خزي الأسر، وتتم عن طريق بقر البطن.

مكان حذائه... *أين حذائك؟!... أتمزح معي؟ ابحث عنه بنفسك!...* ثم تذكّر أنه لعب به كرة القدم الأمريكية في الليل مع فريقه، فأخبره أنه دخل المنزل مرهقا، ولا بد ألقاه جوار سريره، شكره بيل فأجابه أن عليه أن يُشرِّفه بنتيجة جيدة في مباراة اليوم، فوعده أنه سيفعل، ثم ودّعه.
اتّكأ إيثان على كرسيه الدوار، وتحرك للجانبين قبل أن يسمع الرّنة المميّزة لوصول رسالة، كان رفيقَه في العمل بروس، *لا بد أنه في دورية الآن*، فكّر وهو يتأمل ما أرسله له، فيديو مكتوب تحته : **محاكمة " آيلين وورنوس "**[16]، وفي الأسفل علّق : ((هنيئا لكِ السجن)).

ابتسم إيثان وحكّ شاربه المشذب، ثم علّق مجيبا : ((ليت أحد رفاقها في السجن من أولئك المختلين الذين يدّعون كونهم نساء مسجونات في أجساد رجال يتكفّل باغتصابها)).
أجابه صديقه بعدها بثوانٍ : ((أراهن على أن أحدهم قد تكفّل بذلك بالفعل)).

استغرق إيثان بعدها في مشاهدة المحاكمة، رأى القاضي وهو يصدر الحكم عليها، وضايقه استهتارها ورفعها لأصبعها الأوسط في وجهه – القاضي - قال في نفسه : *سيتكفّل السجن باقتلاع تلك الابتسامة المستهترة عن وجهك أيتها القاتلة... فلتتعفّني هناك وليتعفّن معك كل القتلة، أوه... سأرسل واحدا قريبا ليتعفّن معكم، صبي جميل رقيق، آملُ أن تعتنوا به جيّدا.*
ثم قهقه مجيبا نفسه : ((طبعا، سيفعلون)).
بعد ضحكته بثانيةٍ سمع طرقًا على الباب، نهض وفتحه فوجد تلك المرأة اللعينة تحدِّق فيه من خلف كمّامتها بجرأة.
- ((أوه... أعجبني رنين ضحكتك، عذرًا، لم آت للمجاملة، أردتُ فقط أن

---

[16] قاتلة متسلسلة أمريكية تُدعى "aileen wuornos " و هي تجسيد حقيقي للنذّاهة، فقد كانت تغوي الرجال ثم تقتلهم.

أُخبرك أن مُوكّلي يجب ألّا ينقصه الماء والطعام، كما لاحظتُ أنه مضطربٌ قلق، قال لي أنه طلب منك أوراقًا وسيّالة فقوبل بالرفض))، قالت هذا ثم ألقت نظرة خلف كتفه وتابعت : ((أرى أن لديك من أوراق الطباعة الكثير، وكذلك السيّالات، ألا تستطيع الاستغناء عن واحدة من هذه وواحدة من تلك؟)).

بدأ يقول : ((اسمعي، لقد سمحتُ لكِ برؤيته لأن هذا حقه المشروع، ولكن لا تتوقعي مني أن أقف هنا وأتلقّى الأوام...)).

قاطعته بسرعة : ((كما توقّعتُ، بخيل، لا تتعب نفسك فقد أعطيته ما يحتاج، إلى اللقاء)).

وانطلقت تمشي من جديد في ثقة بينما تنورتها... اللعنة!... أغلق الباب وهو يغلي من الغضب، ثم جلس على كرسيه من جديد، ولكم مكتبه بقوة آلمت قبضته، حملق في حاسوبه للحظة، وَمَضَتْ بضعُ ثوانٍ قبل أن يدرك أن توم ردَّ عليه.

ركضت عيناه على الأحرف سريعا : ((أهلا إيثان، حظنا سيء... آمي هذه هي واحدة من أفضل وأشهر المحاميات في الولاية، الجميع يرهَبونها، يُقال أنها لم تخسر سوى خمس قضايا من أصل خمسين!... ولكن سعرها مرتفع، قلتَ لي أنّ الصبي ابن لأرملة وحيدة، فكيف إذن تمكنت من استئجارها؟! حظنا سيء حقا فقد ظننتُ أني سأواجه محاميا موكّلا من المحكمة، ثم إن البصمات ليست موجودة... كيف سنتمكن من إقناع...؟ لا عليك... سأبذل ما بوسعي، أتعرف؟ لقد مررتُ عبر شارع " ليمونا "وعلي أن أعترف... ذاك الشارع له حضور شرير قوي، لقد تخيَّلتُ... تخيّلتُ مقتلهما... أستاذان درّساني في الثانوية وبدا ذلك... حقيقيا بشكل... لا يصدَّق، كما أني كدت أصدم سيارة، و... لا أعرف يا رجل.. أنا متوتر حقا، إلى اللقاء)).

ظلّت عيناه ملتصقتين بالسطر الأخير فترة طويلة من الزمن قبل أن يفكر : ((هل جُنَّ الأحمق؟!... كاد يصدم سيارة!.. حضور شرير!... لا، بل قلها مباشرة... قل إنك رأيت في الشارع شياطينًا ترقص على السطوح، وأشباحًا تثب من النوافذ!.. ألا يدرك الأحمق أنه تأثير التسجيل على عقله؟!... إنه متوتر؟ لا، بل هو يبدو يائسا، كيف سيقف هكذا أمام تلك الساقطة في المحكمة؟... على ذلك القاتل ألَّا يخرج بريئا منها، عليه أن يخرج مُقيّدا ويدخل بعدها سيارة شرطة تنقله مباشرة إلى السجن، أنا واثق أنه القاتل، واثق)).

- ((هل أنت بخير يا إيثان؟))، سأله دونالد وهو يُطِلُّ من الباب، ((سمعتك تصيح... كنتَ تُكلّم نفسك!)).
فكر إيثان : *كنتُ أفكر بصوت مسموع!..* ثم تدارك نفسه وصرخ فيه : ((ماذا تفعل هنا؟ هيّا، ارجع إلى عملك!)).

بعد خروجه بوقت طويل غطّى إيثان وجهه بيديه وسأل نفسه : *هل أنا أُجنُّ أيضا؟!...* ولشدَّ ما أثار خوفه أن السؤال بقي طافيا دون جواب.

****

- ((هل قتلتُهم؟... نعم، بشكل ما))، أجابها جورج ببساطة، وكأنه لا يعلم أنّ تلك الكلمات هي تذكِرَتُه إلى السجن مدى الحياة.
تفحّصته آمي قبل أن تسأله : ((ما الذي دفعك للاعتراف؟... الشرطة لم تشتبه بك، فلماذا اعترفت؟... هل خطر لك أنه من الخطأ أن يأخذ أحدهم اللّوم والوِزر ويدخل الزنزانة مكانك؟ أم أردتَ أن تشتهر بفعلتك؟)).
أجابها : ((لا، لم يخطر ببالي أيٌّ من هذا، فكلُّ ما كنتُ أفكِّر فيه أنِّي باعترافي قد أنال المساعدة لِحلِّ مشكلتي)).
- ((مشكلتك؟)).
- ((أجل، فأنا أقتل الناس بخيالي))، قالها ببساطة كما لو أنه يقول " أنا

أخبز الفطائر في المنزل " أو " أنا أرسم اللوحات الزيتية ببراعة ".
ردَّدَتْ آمي : ((تقتل الناس ب... بخيالك؟!!))، ثم فكَّرت : *إنه حقا مجنون، غرَّني مظهره البريء فجلست جواره*، فكّرت في هذا وهي ترجع بكرسيها مبتعدة إلى أقرب مسافة من الباب.
- ((تبدين خائفة متوجِّسة، لا تقلقي، لن أؤذيك فأنا ضعيف الجسم، قوّتي الوحيدة هي خيالي وذاكرتي الفوتوغرافيّة، ألم يُركِ ذلك الضابط القذر اعترافي؟ لأني لن أكرره مجددا على مسامعك... أكره ذلك الضابط، وعدني بأنه سيساعدني في علاج مرضي وتظاهر بتصديقي، وأنا سقطت في فخه كالأحمق...))، توقف عن الكلام وأغمض عينيه بشدة، وهزَّ رأسه مرتين ثم أمسك رأسه وهو يقول : ((اللّعنة... رغبتي في الانتقام تشتدُّ، لن أستطيع التحكُّم بها فترة أطول... أخشى أن تقتحم صورةٌ خيالي فجأة من العدم)).
لم تستطع آمي التفكير في شيء تقوله سوى : ((أهناك ما يمكنني به مساعدتك؟ دواءٌ ربما أو...)).
- ((أوراق!))، صاح بها جورج، ((أوراقٌ وسيّالة... هذا كل ما أحتاجه لأُبقي هذه الأفكار السوداوية بعيدا)).
أخرجت آمي ورقة شبه فارغة وسيّالة سوداء من حقيبتها البُنيّة، وقدّمتهما له، فاختطفهما مثل قط جائع دُلِّي له لحم مشويّ، ابتسم لها وهو يُخَربِش في الورقة، ثم سأل : ((من أنتِ؟)).
- ((محاميتك... وكّلتني أمك بتوصية من خالِك. أتعرف أنّك تشبه انتحاريًّا باعترافك هذا، ألا تفكر في أمك؟... ألا تفكِّر في شعورها حين تراك تُدان ويُزجُّ بك السجن؟))، قالت آمي وهي تشعر بغضب حقيقي في أعماقها، *هناك رجال في السجن* يتمنّون مجيء *اليوم الذي يخلعون فيه البرتقالي، بينما هذا الشاب يسعى إلى الزِّنزانة بِقدميه.*
اعترف جورج : ((لم أفكر في الأمر من تلك الناحية... كل ما جال ببالي حينها أنِّي يجب أن أتلقّى العلاج قبل أن أقتل المزيد من الناس، وأنا أعلم أنّي...

إن لم أنل مساعدة قريبا فسأفعلها، لا أستطيع التوقف عن التفكير بذلك رغم كل محاولاتي)).
((عمّا تتحدث؟... لا يمكنك قتل أحدٍ بينما أنت مُكبَّل بالأغلال هنا و....))، قالت آمي حائرة، *إنه لا يخطط للهرب، أليس كذلك؟...* رَجَتْ أنه لا يفعل فالضابط سيجد متعة كبيرة في إرجاعه لغرفته بالركلات، ماذا لو تمكّن من الهروب؟... القضية ستُلغى حتى يُقبض عليه مجددا، هذا ليس جيدا.

((كلا، أنا أستطيع، هكذا قتلتُ جوناثان وجيمس وويتني، قتلتهم بخيالي، تخيَّلتهم يموتون بطرق فظيعة مختلفة فماتوا حقيقة بذات الأساليب)).
حملقت فيه آمي مشدوهة وتلعثمت : ((ماذا؟... خيالك؟!... لماذا لا تنفكُّ تُرَدِّدُ هذا؟.. أنت تعلم أنَّ هذا مستحيل...هل تمزح؟ أم أنّك تكذب علي؟... أنا محاميتك، كيف تعترف للضّابط ثم تنكر الجرائم أمامي؟!!... المفروض أن تفعل العكس!)).
ردَّ جورج : ((لو استمعتِ للتّسجيل لعرفت أنّ هذا ما اعترفت به... هذا ما قلته للضابط، قلتُ أني قتلتهم بخيالي وسردتُ له كلًّا من تخيُّلاتي وملابساتها)).
- ((واعتقلك فقط لهذا... لمجرد التخيُّل؟!))، سألت آمي وقد بدأت تفهم، جورج هذا مجنون أو مريض نفسيا، من الصعب تحديد الفرق، استغلَّه ذاك الضابط وجعله كبش فداء، الضابط نفسه أبله كما يبدو إِذْ كيف ينوي إدانته في المحكمة على أساس تخيلات وأوهام؟!
- ((لا، أنتِ لا تفهمين... الجرائم وقعت كما تخيلتُ بالضبط))، صاح جورج محاولا جعلها تستوعب هذا.
- ((وكيف لك أن تتيقّن من هذا؟... حتى المحققون لا زالوا يجهلون كيف وقعت هذه الجرائم بالضبط... ومن قال إنها جرائم أصلا، هذه القضايا الثلاثة ظواهر خارقة للطبيعة ضربت بكل ما ألفناه عرض الحائط، أول مرة سمعتُ أحدا يدعوها جرائم كانت على لسان أمك البارحة، وقد استغربتُ

حينها ثم تذكّرت أن جريمة قتل ويتني سهلة التنفيذ، لذا حسبتُ أنها الجريمة التي اتّهموك بارتكابها، ولكن الجريمتين الأخريين، خصوصا الأولى، إنها من الخوارق، وأنا أعتقد أنّ أغلب النّاس يشاركونني الرأي، لا أحد رأى صورة جوناثان في الأخبار وقال : ((هذا عمل قاتلٍ))، فلماذا أنت مصرٌّ على أنك الفاعل؟)).

أجابها جورج : ((لأن التفاصيل في قصتي متماثلة مع ما وجدته الشرطة في مسرح الجريمة... أنواع الحشرات نفسها التي تخيَّلتُها عُثر عليها في بطن جوناثان، الوشوم التي ذكرتها هي عينها التي على جثمان جيمس رغم أنها لم تُنشَر بعدُ في الصحف... المحققون يجهلون كيف ولكني أعرف لأني أنا من قام بذلك، استمعي للاعتراف، استمعي له وستفهمين كل شيء)).

جادلت آمي : ((حتى لو كان هذا صحيحا))، *وهو ما أشكُّ فيه*، ((ربما هي مجرد مصادفة، أنت تعي أن العلم هو الفاصل بين الخيال والواقع، بين الأسطورة والحقيقة، أليس كذلك؟)).

- ((لا توجد مصادفة تتكرَّر ثلاثة مرات))، مُصِرًّا أجاب جورج،((لقد اعتقدت أيضا ذلك حتى حصلت الجريمة الثانية والثالثة، هل سمعت ما هو أغرب من هذه الجرائم؟ بطنٌ عامرٌ بالحشرات، فتى تشتعل وشومه ويحترق عنقه، فتاةٌ تنغرس خمس سيالات وخمس أقلام رصاص في عنقها، لا، لم تسمعي عن مثلها لأنها الجرائم الوحيدة التي تمَّ تنفيذها بسلاح الخيال، وهو سلاح مرنٌ فالخيال لا حدود له)).

إنه مصمّمٌ على الاعتراف ونيل جزائه حقا، كيف يمكن لي أن أُغيِّر اعتقاد هذا المجنون وأثنيه عن قراره... آها... سأجرب هذا...

- ((إذن، افرض أنك في المحكمة الآن بعد الاعتراف، ماذا تظن سيحصل؟))، سألتْه مختبرةً فأجابها بالذي توقعت.

- ((سيُعلنُ القاضي أني مريض عقليًّا، ثم يحكُم بإرسالي لمصحة نفسية، حيث سأتلقّى علاج هذا المرض اللعين))، كان ردُّه ساذجا.

صاحت فيه : ((مخطئ في اعتقادك!... سأخبرك بما سيفعلونه إذا تمكّنوا من إثبات جرمك... سيقضي القاضي باعتقالك ثم إرسالك إلى السجن أو إلى مصح نفسي... وليس مصح نفسي من النوع الذي يهتم بالمعالجة بل واحد من النوع الذي يهدف لاحتجاز القتلة والمغتصبين ومشعلي الحرائق المختلّين ليتركوا الناس وشأنهم إلى حين رحيلهم من هذه الحياة، أتعرف ماذا يفعل مديروا المصحات حين يموت أحد القتلة المختلِّين؟... إنهم يقيمون حفلة على شرف وفاته!.. صدِّقني، لن تتلقّى هناك أيّ علاج لمرضك المزعوم، ولكن ستكون لك منزلة خاصة، كونك الأصغر سِنًّا هناك بين الرجال والكهول والشيوخ الذين قضوا عمرهم كُلّه هناك، كما ستقضيه أنت تماما، هذا إن نجوت من المجانين، والآن هل تريد لهذا أن يحدث لك يا جورج؟)). أجابها : ((هل أنت متأكدةٌ؟... كيف أعرف أنَّكِ لا تكذبين عليّ مثل ذلك الضابط لتحققي مصالحك الشخصية)).

أوه، أنا أقول الحقيقة... ولكن فقط لأنها تخدم مصالحي الشخصية، فكّرت وردّت مبتسمة : ((أنا لستُ مثل ذلك الضابط الخائن القذر، الآن سأخبرك ما سيحدث لو لم تعترف... سأدافع عنك وما عليك إلا أن تلتزم بما أقوله وستجد نفسك حُرًّا وحينها... حينها يمكن لوالدتك أن تُسجّلك عند مستشفى أمراضٍ نفسيةٍ مرموقٍ تتعالج فيه حتى تُشفى))، *الآن هذه كذبة، لأنه لا يوجد مرض مثل مرضك فكيف يكون له علاج ؟!!... لا أعرف علاجا يوقِف المخيِّلة أو يُشوِّشها، ربما بعض الصّدمات الكهربائية ستفي بالغرض، أو ربما التلفاز، دائما يقول الكُتّاب أن التلفاز يُثبِّط القدرة التخيلية لأنه يمنحك كل شيء مرئيا بعكس الكتب، لكن لماذا آبه بهذا؟ المهم أني سأكون قد أنقذتك، ووفيتُ بِوعْدي لأمّك، و – هذا ما أبالي به حقا – ذاع صيتي ونلت الشهرة، قد أصبح أشهر من شعلة على جبل*[17]*، مثل " توماس مزراو"* محامي المغني مايكل جاكسون.

- ((حقا؟... حسنا، سأفعل ما تطلبين))، قالها جورج مصدِّقا إيّاها

---

[17] عبارة " أشهر من نار على علم " عوضتها بشرح معناها، لا لغرض إلا الابتداع ومخالفة المعهود.

ببساطة.
- ((الضابط اعتقلك فقط بسبب اعترافك بجرائم خيالية... أنا مندهشة))، قالت آمي، *أيُّ نوع من الضباط هذا؟*
- ((لا... لقد كوّن نظرية، إنه يعتقد أني حقّقت تخيلاتي الفانتازية كما سمّاها)).
- ((وهل اعترفت بذلك؟))، سألت آمي قلقة.
- ((لا... إنه مخطئ، أنا لم أفعل شيئا غير التخيُّل)).
- ((حسنا، هذا جيد))، إيثان ذلك الضابط الأحمق ارتكب أخطاء كبيرة ستساعدها في قضيتها، **أولا :** اعتقل جورج بناء على هلاوس، **ثانيا :** لم يأخذ التسجيل لفريقِ التحقيق المختص العامل على الجرائم، يُفضِّل العمل وحده لينال الثناء كله، ولكن آمي ستتركه يفعل ذلك ثم تستغلُّه ضده، ستستخدِم أعضاء الفريق كشهود في قضيتها، لقد عَرفَتْ أنه لم يتعاون معهم حين سَأَلَتْهم قبل ساعة عن الأدلّة على جُرم جورج، حدَّق إليها المحقق وفمه مفتوح ثم قال : ((من جورج هذا؟... نحن ما زلنا نحقق في القضية دون أدنى بصيص أمل، أظنُّ أنّ هذا الملف سيُغلق بعد أيام ،وينضم إلى الخزانة جنبا إلى جنب مع قضيتي جاك السفاح وزودياك مُثبتًا أنّ الشرطة والمحققين بشر ليسوا خارقين)).

أجابت عينيه الممتلئتين فضولا : ((أوه... أظن أني خلطت بين القضايا... أنت تعلم كم من قضية عملت عليها، أخشى أنها قد بدأت تتداخل، حظًّا سعيدا إذًا)).

ودّعَته بهذا وتركته يرجع إلى السبورة البيضاء شبه الخالية التي لم تكن تبشر بخير في سير القضية، ودّعته مبتهجة مسرورة، عملها هذه المرة سهل كالمشي على سهل، ستجعل جورج ذاك الصبي يَخرُج من المحكمة أسرع من مايك تايسون حين يُخرج خصومه من الحلبة.

قالت لجورج تشرح له : ((حسنا، إيّاك أن تنطق ب " نعم، أنا فعلتها

مجددا" حين تصل إلى المحكمة ستجيبهم ب " أنا لا أعرف " ثم تخبرهم أنك فعلتها في أحلامك، ولكنك لم تفعل شيئا خارج حدود الخيال، ثم تُعلِمُهم بأنك تعتقد أنّ ما حلمت به حقيقة، وسيجعل هذا القاضي يشكُّ في صحّتك العقليّة وبالتالي في صحة الاعتراف، أعني أنك لا تستطيع أن تأخذ اعترافا من مجنون...)).

قاطعها وهو يشتعل غضبا : ((أنا لست بمجنون، أنا أذكى طالب في صفي وإيّاكِ أن تقولي غير....)).

- ((نعم، أعرف، أعرف، ولكن القاضي سيعتقد العكس))، *إنه من الأشخاص الحسّاسين حين تُثار مسألة ذكائهم*، ((وهذا في صالحنا، بعد قولك هذا يمكنك الجلوس وترك الدفاع لي حتى النهاية... اطمئن بخصوص هذا، لدي الشهود، ولدي الأدلة، بينما في المقابل لا يمتلك هذا الضابط الأحمق الذي سيفتح القضية هو والمدعي أيّ شيء يثبت جرمك سوى اعترافك ذاته، والذي سيكون دليلا مشكوكا في مصداقيته حين أكشف أن ذلك المأفون وعدك بمساعدة طبية نفسية، وإلا ما كنت لتعترف له بمثل هذا... أقول لك أني سأربح، متأكدة، حتى لو كان " خوان مارتينيز" نفسه في الإدِّعاء فلن يستطيع فعل شيء))، قالت هذا ثم تابعت بعد تفكير، ((هناك شيء أريده منك أيضا... تخلَّ عن حقك في جلسة الاستماع، وإلا لن تصل هذه القضية إلى المحكمة أبدا... أعني علينا أن نُقنع ذلك الوغد أن لديه فرصة قبل أن نقلب الطاولة على رأسه، أليس كذلك؟)).

ابتسم لها جورج فلوّحت له مودِّعة ثم خرجت.

****

أقيمت المحاكمة في محكمة سان دييغو المركزية يوم الأحد 16 من ماي ، بدأت بالجلسة الأولى حين أعلن جورج وِفقا لنصيحة آمي تخليه عن حقه في جلسة الاستماع، قال بعدها القاضي أن الجلسة الثانية ستقام في غضون

يومين، وبالفعل صباح الثلاثاء في الساعة التاسعة صباحا، وبعد دقيقة من تصريح جورج بأنه لم يرتكب الجرائم اشتعل السِّجال بين آمي ورفيقها في الدفاع الذي كان نكرة لا يُهتمُّ لوجوده، وبين توم ورفيقه في الادعاء مايكل رُودْرِيغيزْ.

أتت أمُّ ويتني ماديسون وأجابت الأسئلة بشأن الحادثة دامعة العينين، قالت : ((وجدتُها دامية العنق، أصابني هلع شديد حين رأيت الأقلام والسيالات، واحدة منها بالذات... انكسرت في الداخل.. و.. غاصت في موضع من رقبتها وخرجت ناتئة من الجهة الأخرى، القلم كان أحمر... كان أحمرًا يقطُر!)).

حكت هذا وهي تكاد تنهار، مرتجفة وقفت وقبضتها تهتز حول الميكرفون، فيما خدشت أظافر يدها الأخرى خشب المنصّة.

سألها توم : ((سيدتي... أخبرينا عن النافذة)).

- ((النافذة كانت ضيقة، لا يستطيع رجل أن يحشر نفسه داخلها، ولكن قد يتمكن فتى نحيل من اجتيازها))، قالت ثم ألقت نظرة احتشد كل ما في العالم من حقد وبغض فيها، ألقتها على جورج وتابعت : ((فتى مثله)).

- ((بالطبع))، عقّب توم ثم سأل وهو يرفع سيالة، ((هل تستعمل ابنتك سيالة مثل هذه؟)).

ضيّقت ماديسون عينيها قبل أن ترد :((لا، إنها تستعمل علامة "تايكوندروغا")).

- ((آه... ولكن جورج يستعمل مثل هذه السيالة، ليس هذا فقط فهو يستخدم أيضا ممحاة ومبراة وقلمًا يحملون نفس الماركات التي وُجدت في مسرح الجريمة)).

- ((ابنتي لم تكن تستعمل إلا العلامات الغالية، كانت تهتم بدراستها... كانت..))، قالت ماديسون قبل أن تنخرط في نوبة بكاء.

- ((أوه... يا له دليل قاطع! كم منكم يا سادة سبق له واستعمل نفس

الماركة من كل أسلحة الجريمة هذه، والتي هي أدوات مدرسية؟))، سألت آمي متهكمة ثم تابعت، ((مُوكِّلي لديه مقلمته وبها جميع أدواته المدرسية لا ينقص منها شيء، ربما اشترى غيرها... هذا ما قد تقولونه، أتفهّم أن يشتري اثنتين من كل لون من السيالات، ولكن أن يشتري ستة من المماحي وستة من المباري فقط ليضعها على جسد الضحية... هذا هو التبذير بعينه ومصروف جورج الضئيل لم يكن ليكفيه لابتياع كل هذا)).
سكتت حين قاطعها توم : ((المصروف؟ ... ليس عسيرا على قاتل أن يسرق، أليس كذلك؟)).
- ((أوه... نعم، كنتُ سخيفة حين تكلمت عن المصروف، لماذا لا نتكلّم عن أنّ التحقيق لم يجد بصمة واحدة لجورج على الأدوات، ولم يجد كذلك حتى شعرة على النافذة الضيقة التي تزعمون أن جورج **حشر نفسه** من خلالها!)).
- ((سيدي القاضي هل تسمح لي باستدعاء الشاهد الثاني؟))، قال توم هذا ليصرف النظر عن عدم تمكنه من إجابة أسئلتها.
فكرت آمي بسعادة: *1 - 0، نقطتنا الأولى لهذا اليوم.*

صعد إيثان إلى المنصة، وحكى كيف أنَّ جورج ذهب إليه واعترف بكامل إرادته بأنه ارتكب الجرائم الثلاثة، روى لهم كيف أنّ جورج يعتقد أنه حين يقتل أحدا في خياله يموت بنفس الطريقة في الواقع، ثم أشار إلى كلِّ تفاصيل القضايا السِّريّة التي يعرفها جورج، وقال أن معرفته هذه دليل على كونه القاتل، عقب هذا أجاب عن كل أسئلة القاضي والمدعي، ثم رجا أن تأخذ العدالة مجراها.
قالت آمي : ((ألقيتَ القبض على جورج لجريمة نكراء وهي... التخيل؟! أنت تعلم أن الكثيرين من كُتّاب الرعب يكتبون عن القتل، ليس هذا فقط بل يوجد مُغنُّو راب يُغنُّون عن قتلهم للرجال والنساء سواء ولا يُؤخذ كلامهم على محمل الجد، إنه شيء ربما لم تسمع عنه بعدُ يُدعى حرية التعبير)).
قاطعها إيثان غاضبا : ((أعرف ما هي حرية التعبير)).

- ((آه... هكذا إذن، كنت أحاول إيجاد عذر لك، والآن كيف تُبرِّر اعتقالك؟... مع العلم أنه لا يجوز لك اعتقال مدني إلا بدليل قوي... بصمات... حمض نووي... دليل من ذاك النوع الذي عجز فريق التحقيق عن إيجاده في مسرح الجريمة)).

ردَّ عليها إيثان بوجه محتقن وعُنقٍ مُحمَرٍّ ملقيا كلمات مختلطة : ((الفتى مجنون... اعترف بجرائمه طواعية... لقد أعطى تفاصيل... تفاصيل دقيقة... كان يدرس معهم... لديه دوافع قوية)).

التفاصيل، التفاصيل حقا مثيرة للتساؤلات، كيف تمكن مُوكِّلها من معرفتها؟... كانت تسأل نفسها هذا حين استمعت إلى التَّسجيل ليلة أمس، اعترافٌ مخيف حقا بالكاد استطاعت النوم بعد الإنصات إليه، وحين ذهبت إلى الحمام لتغتسل نظرت إلى المرآة واعتراها الخوف فبدأت تتحسس عنقها في توتر، وهي تترقب في أية لحظة مئة ساقٍ حشرِيَّة تجري عبره صاعدة، تحسّست وفكرة أن يشتعل وشمٌ عبر خدِّها تثير فيها القشعريرة والرعدة، ماذا لو أنَّ نافذة ظهرت فجأة ورأيتُ من خلالها جورج وهو يكتب في أوراقه؟!... قبل أن يتوقف ويبدأ بالتهام الأقلام ثمّ يتحول إلى...!!!

لم تنجح في صرفِ تلك الأفكار، وفجأة عثرت على الوصلة بين الجرائم الثلاثة، كلها وقعت في الحمام، وكلها حدثت أمام المرآة، وهي الآن في الحمام وأمام مرآة لعينة!!! هربت من الحمام جريا نحو أمان غرفتها، لِتُدركَ بعدما ارتمت مرتعشة بين ذراعي زوجها أنها عارية!... *لقد نسيتُ ملابسي من الخوف!...* ((بقي أن أصيح " أوركا... أوركا "[18] !))، علّق الجزء الساخر في عقلها قبل أن تنهمر الدموع على خديها.

---

[18] صيحة أرخميدس " eurika " التي أطلقها خارجا من الحمام بعدما اكتشف قانون الطفو.

في الصباح وبعد أن ملأت أطباق الفطور - التي غسلها زوجها وجهّزت ابنها للمدرسة - طمأنت زوجها القلق ثم جلست أمام حاسوبها تبحث في الأنترنت عن شيء يُفسِّر ما أنصتت إليه ووجدت...

- ((إي. أس. پ (E.S.P)[19]... أظن أن عميلي لديه قدرات فائقة للحواس، لقد سبق وجرت أبحاث حولها، وإن كنتم تعتقدون أني أتفوه بالهراء لأتهرّب من الاعتراف بحقيقة أنّ القاتل وحده سيعلم هذه التفاصيل....)).
سَمِعَتْ إيثان يعلِّق من مقعده : ((بالطبع نحن نعتقد ذلك)).
ولكنها لم تأبه له وواصلت : ((إذن، فانظروا إلى الأمر من هذه الناحية... هل يُعقل أن يذكُر قاتلٌ لا يتذكَّر أنه قام بالجرائم حتى تفاصيل جريمته؟!!))، سألت هذا آملة أن تثير في أنفسهم الشك.
صاح إيثان وعيناه جاحظتان غير عالم أنهما تجعلانه يبدو كالمجنون : ((إنه مختلٌّ... مختل نفسيا وعقليا... انظروا... انظروا))، ولوّح بأوراق بيضاء وهزّها ونقر عليها وهو يكمل، ((انظروا إلى ما رسم وكتب حين كان في غرفة الاحتجاز)).

الوغد! استعمل أوراقي ضدي، تُرى ماذا رسم جورج فيها؟... التفتت إلى جورج فوجدته يهزُّ رأسه بعنف، قالت له : ((اهدأ، اهدأ، تلك الأوراق لا تثبت الجريمة، بالعكس إنها تثبت أنك مريض نفسي لديه مشكلة ويحتاج مساعدة))، قالت له هذا مُهدِّئةً ولكن حين وصلتها إحدى الأوراق - التي وزّعها ضابط ما على كل من القاضي والمدّعين والمحامين وهيئة المحلفين - ورأت ما فيها توقّف نبضُ قلبها فجأة...

كانت الورقة تحوي نصوصا مائلة مكتوبة بخط ركيكٍ، مُؤطَّرة ليس بزخارفٍ نباتية بل برؤوسٍ مقطوعة دامية مرفوعة على أسنّة الرماح!
النص نفسه كان يُخبِّئ أشياء فظيعة لمن تمكَّن من فهم خطِّه، استطاعت

---

[19] الإدراك الفائق للحس (E.S.P)، وهناك مجموعة قصصية لأحمد خالد توفيق تحمل ذات الاسم.

قراءة واحدة من العبارات فقط وهي ((الحناجر بالخناجر تُقطع!))، هذا ربما سيُسِيءُ إلى الصورة التي كانت تحاول أن ترسمها عن مُوكِّلها، فتى بريءٌ مريض نفسيًّا ولديه قدرةٌ فائقة للحِسّ، سيتحول الآن في أذهانهم إلى مجرم سايكوباثي خطير.

قالت مُحاوِلةً موازنة الأمور مجددا : ((اسمعوا... اسمعوا... كلنا يحمل قليلا من السايكوباثية داخله، الدليل أننا نشاهد وننتج أفلام الرعب، نحب أن نرى القتل والتعذيب، ونمارسه حتّى إذا تأمّلتم ألعاب الفيديو، وهذا طبيعي ما دام لا يُسبِّب ضررًا لأحد كهذه الرسومات، هناك عشرات اللوحات العظيمة فيها أشياء أبشع من هذا، هل اتُّهم راسموها بأنهم قتلة؟ الجواب لا، هل كان راسموها قتلة؟ جُلُّهم لا... إذًا، لماذا تحاولون الحكم على موكلي من خلال رسوماته؟ هذا ليس عدلا، سيدي القاضي، هل يمكنك أن تسألهم أين هي الأدلّة القاطعة؟)).

أنصت لها القاضي روبن بصمت، وعدَّل خلال ذلك ردائه الأسود مرّتين أو ثلاثًا، ثم استمع إلى المدعي حين قال : ((حضرة القاضي، أنا أُطالب بإخضاع المتّهمِ لفحصٍ نفسيٍّ لنكشف عن حالته النفسية وقدراته العقلية)). ثائرًا صاح جورج :((قدراتي الذهنية طبيعية! إيَّاك أن تشكَّ مقدار ذرة في هذا)).

أوه... ها نحن ذا، الحساسية المفرطة تُظهر وجهها.

قال القاضي دون اكتراث له قارعا اللوح الخشبي بالمطرقة : ((طلبك مقبول أيها المدعي العام، سنستأنف المحاكمة غدا بعد الفحص، رُفِعت الجلسة)). جَمَعَتْ آمي أوراقها ووضعتها في حقيبتها البنية ثم أسرعت تغادر في ثقة وهي تفكر : *غدًا إذًا، غدًا سأضع كل أوراقي على الطاولة.*

****

أغلق إيثان باب سيَّارته بعد أن ركنها جوار المنزل، مشى إلى بابه ونظر يفتش عن مفتاحه بين مجموعة كبيرة أخرى من المفاتيح التي حملتها السلسلة، لم يستطع إيجاده في الظلام الدامس فاتجه إلى عمود الإنارة، ثم رجع بعد أن حدّد المفتاح المطلوب، وفتح قفل الباب به...

ها هو في الداخل الآن، يخلع حذائه وجواربه التي فاحت بالرائحة الكريهة، يضعها في خزانة الأحذية، ثم يأخذ نعليه ويتجه مباشرة نحو الحمّام على يمينه.

فكَّر فجأة وهو يفرغ مثانته أنّ اليوم لم يكن سيئا بعد كل شيء، لو كان بإمكانه تشبيه المحاكمة بِمُباراةٍ لقال أنها انتهت بتعادل، ولكنه يتفاءل خيرا فهو يعتقد أن تلك الرسومات لا بد ستقلب آراء الناس، تذكّر أنه يومها حين أتت الساقطة لمقابلته توجَّه بعد مغادرتها غاضبا يشتعل إلى تلك الغرفة، وفي ذهنه فكرة واحدة :

سأنتزع تلك الورقة منه، سأسحبها من بين يديه وأمزقها أمامه وأجعلها... وأجعلها تتماطر على رأسه كالأيام الخوالي.

ولكنه حين دخل الغرفة وجد جورج مُنكبًّا على الورقة، كان منحنيا عليها فوق السرير، يعضُّ على لسانه البارز طرفُه من فمه، ويخربش في الورقة بجنون بينما ساعِده يهتز بشدة، وفي عينيه... في عينيه التمعت نظرة زائغة منغمسة، بدا في تلك اللحظة كما لو أنه خارج الغرفة ومقر الأمن ومدينة سان دييغو وكاليفورنيا والولايات المتحدة وأمريكا وكوكب الأرض ومجرة درب التبانة والكون بأكمله!!!... كما لو أنه وحده في عالم خاص به حيث لا يوجد سواه إلا ذلك القلم، وتلك الورقة، والكلمات.

تقدَّم منه وتحدّث ولكن جورج لم ينتبه له، تكلّم ثانيةً فلم يتلقَّ ردًّا، هنا فاق الغضب حدود تحمُّله فاختطف الورقة و...

عاد إلى الماضي، في الماضي اعتاد أن يفعل هذا في ساحة اللعب، كان هناك أطفالٌ بعينهم يجتنبون الآخرين وينزَوُون في الزوايا، بعضهم يجلس ساهمًا شاردًا، وبعضهم يُكلِّم نفسه، وبعضهم يرجُم جدارا بريئا بالحجارة، لم يزعجه أيٌّ من هؤلاء المجانين لم يُثِر حنقه سوى المجموعة التي كانت تجلس، ثم تُخرج مُفكّرة أو كُراسَة وقلمًا وتبدأ بالكتابة، هذا في أحيان وفي أحيان أخرى تجلس وتُخرج كتابا وتبدأ في القراءة...

ما الشيء اللعين الذي يقرؤونه؟!... لماذا لا يشاركوننا اللعب؟... لماذا يُفضّلون تلك العادة المملة بينما يمكنهم ببساطة أن يمرحوا ويضحكوا؟!...

لم يحاول إيثان الإجابة على هذه الأسئلة، كلُّ ما كان يراه هو أنهم يتظاهرون بالذكاء والعبقرية، وهذا ما يُشعرُه بالغباء والدونيّة. إنه يحصل على علامات متدنِّية في أغلب المواد وقد سئِم من التعليم الابتدائي، ولا يعرف أي طريقة يستطيع بها تحمُّل التعليم المتوسط والثانوي والتعليم الجامعي من بعده، ولولا حزام أبيه الجلدي لقضى اليوم كُلَّه في التسكُّع...

يشعر بالإهانة حين يراهم، يُذكِّرونه بمدى سوئه في الدراسة، وما عليه أن يفعله كي يتغيّر حسب قول والده، وهذا يثير غضبه... يذهب إلى أحدهم فيقول : ((هاي...هل يمكنني أن أرى ما تقرأه؟)).
فيجيب الطفل ذو الشعر الأشعث في الغالب : ((لا شيء يهم... لن يعجبك)).
دائما يرفضون، يحسبونني أحمقا لن يفهم، يفكّر في هذا قبل أن ينتزع الكتاب من بين أيديهم المرتخية لدرجة أنك ربما قد تستطيع خلعها، يبدؤون بالصراخ ومحاولة استعادته فيُقطِّع أوراقه بسرعة، ثم يمزِّقها إلى مئة وريقة صغيرة وينثرها وهو يصيح : ((وِيي!... مطر... مطر... مطر من الله... اسعدوا وابتهجوا)).
وبالفعل ينزل المطر، مطر من الأوراق ومطر آخر من الدموع من عيني الصبي الرقيق، وإن حاول ذلك الصبي عضّه أو خدشه - لأن هذا ما يفعلونه عادة،

فهُم لا يعرفون كيف يلكمون كالرجال - حينها سيُلقِّنه إيثان درسا في قتال الشوارع.

و... صرخ جورج : ((أعدها إليَّ أيها الخنزير اللعين[20]!))، واندفع نحوه، فدفعه إيثان ليسقطه على السرير مقاومًا رغبة عارِمةً في ركلِه حتى الموت، على بطنه، وصدره، وذراعه، ورأسه، وعنقه، وفخذه وخِصيتيه... على كلِّ عضو، رفع الورقة عاليا قبل أن ينبس بعبارة واحدة : ((ما هذا بحق اللعنة؟!)).

كان هناك نصٌّ في الوسط مزخرفًا بإطارٍ من أبشع ما رأى... مهلا... هل هذا فيل بلا خرطوم، لأنّ أحدهم قطعه ربّما، وثبّته بمسمارٍ على كفلِ هذا الفيل المرسوم أسفله ليكون ذيلا فريدا من نوعه؟!... مهلا... هل ذاك أرنب أبيض اقتلع أحدهم عينيه الحمراوين لتفيض مكانهما عينان حمراوان بمعنى آخر؟!... مهلا...لا تقل لي أن ذلك دبّ باندا مُخوزقٌ على أعواد خيزران؟!!!... لنرى ما هو مكتوب... أوه، اللعنة... خطُّه ركيك حقا...

((أرمي عَشَ...عَشَرَةَ مُتنمِّرين في و...وعاء "أسيد"، أسمَعُ...هُمْ يصرخون بَيْدَبَا... أقصد، بَيْنَمَا... آكل ثَرِيدا!... همم، لا أعرف ما علاقة ذلك بال... فلأتابع القراءة، هذا لتنمركم عَلَيْ... عَلَيْنَا وجعلكم لنا عبيد، أق... أَقْتَرِحْ، آه، لا، بل... أَقْتَلِعُ آذان عشر...عشرة آخرين وأُغَطِّي... هل يقصد أُغذِّي؟... لا، إنه يعني أُغَطِّي بها أعينهم ثم أسقِيهم ما نَزَّ من موضع البتر من قَيْحٍ وصَدِ... قيح وصدِيد!!!... يسقيهم قيحا وصديدًا!!)).

أنهى القراءة وهو يغلي من الغيظ، *هذا القاتل اللعين سيتمتّع بتعذيبي لو سنحت له الفرصة، ماذا لو خرج بريئا من المحكمة ثم طاردني حين أصير عجوزا؟*... ماذا لو استهدف ابني جوزيف الأصغر منه سِنًّا؟... لا... لن أسمح له بتهديد أسرتي، يجب أن يُدَان... ولكن ليس لدي أيُّ دليل لإدانته، كيف

---

[20] "الخنزير" شتيمة موجهة للشرطة في العامية الأمريكية، وهي شائعة بين السود على وجه الخصوص.

تمكَّن من محو الأدلة؟!... مهلا... هذه الورقة هنا قد تصلح كدليل، كيف أحصل على المزيد منها؟

صاح جورج مجددا : ((أعطها لي... أعطها لي أيها الوغد الحقير!)).
فردَّ إيثان مبتسما : ((خذها... خذ ورقتك المثيرة للشفقة، أنت لن تقدر على تنفيذ أيٍّ من هذا على أيّة حال، أتعرف لماذا؟.. لأنَّك ضعيف، والمتنمّرون سيستمرون بضربك والسخرية منك للأبد، سأعطيك عشرة أوراق لو أردت، اِملَأها بألعن ما في جُعبتك من وحشيَّة ودمويَّة فأنت لن تُؤذي بخيالك هذا أحدا)).

تعالى قرعٌ على الباب أقربُ إلى الصوت الذي ختم المحاكمة، ثم تعالى صوت ابنه بيل وهو يقول :((أبي، أأنت من دخل الآن؟ العشاء سيبرد، أسرع وإلا لن تلحق القطار)).
- ((حالا))، *هذه عبارتي، عبارة القطار، لقد ورّثتها له*، فكّر إيثان ثم تساءل مبتسما إن كان بيل سيُوَرِّثُها بدوره لابنه، غسل يديه ثم حدَّق في المرآة التي تعكس صورته وكل شيء خلفَه، أحيانا تنتاب إيثان تساؤلاتٌ سخيفةٌ حول المرآة : ماذا لو أنّ ذلك عالمٌ آخر يتظاهر فيه إيثان الآخر بأنه جامدٌ حين يرمقه ثم يضحكُ ساخرًا ويذهبُ ليلعبَ ما إن يغادر؟ ماذا لو أنَّ نسخته في المرآة تتحرك حين يُدِير لها ظهره؟ ماذا لو أنّها تبتسم حين يرمُش أو يُحرِّك عينيه إلى الجانب ابتسامة ساخرة خفيفة؟ ماذا لو مدَّ إيثان **الآخر** ذراعيه فجأة وسحبه ثم حبسه داخل المرآة وخرج هو ليعيش حياته مكانه؟!

كلها تساؤلاتٌ تُثيرها فيه المرآة، بعضها مرعب، وبعضها سخيف، وبعضها فانتازي، ولكنها تتَّفِق في كونها غير معقولة لن تحدُث أبدا...

دار بنظره نحو الباب، ثم التفَّ بسرعة وفاجأ "إيثان الآخر" في المرآة قائلا : ((قبضتُ عليك مُتلبِّسا!)).
عَلَتْ الحيرة وجه إيثان حبِيسِ المرآة، ثم نزلتْ لتثِبَ مكانها ضحكةٌ ويقول :

((أوه... لقد كشفتني، كيف فعلتها؟!... أنت حقًّا مُتحرِّر رائع، أعني من بين سبعة ملايير، أنت الوحيد الذي كشف سِرِّي)).
ضحك إيثان ملء فيه ثم قال : ((التمثيل يناسبني حقا!)).
ما إن أنهى عبارته حتى انقطعت الكهرباء، توقف قلبه فجأة ثم راح يدقُّ بابَ صدرِه في هلع جنوني كما لو أنه صبي فارٌّ بلغ باب منزله، وعلى أعقابه قطيع كلاب مسعورة تركض نحوه مباشَرة، بأنيابٍ مكشِّرةٍ مُبشِّرةٍ بالشَّر، وألسُنٍ تسيل لعابا اشتهاءً للحمه الغضّ الطرِيّ، غمره رعب أشد من سابقه، رعب يفوق أكروفوبيا رجل استيقظ ليجد نفسه يكاد يسقط من على حافة نافذة في الطابق المئة والستين من برج خليفة، رعب يزيد عن كلوستروفوبيا صبي حشر نفسه داخلا في مغارة ضيقة إلى حد الزحف، فقط ليكتشف فجأةً أنه عالقٌ لا يستطيع تقدما ولا تأخرا، رعب يربو على خوفِ فتاةٍ مصابة بالأراكنوفوبيا[21] دفنها أتباع طائفة دينية سريَّةٍ تحت الأرض في تابوتٍ يعجُّ بالأرامل السوداء وعناكب الرُّتيلاء، غمره هذا الهلع الذي يفوق كلَّ هذا حين تذكر...

جيمس القتيلُ أيضا غرق في الظلام حين انقطعت الكهرباءُ وهو في الحمّام أمام المرآة، تجمّد في مكانه خوفًا وتسمَّر، صرخ صوت هستيري في عقله مُردِّدا، يلطُم ويشقُّ ويُولوِل وينُوح : ((سأموت! سأُقتل! سأموت! سأُذبح! سأمووت!)).
ولكن بعد أن مضت دقيقة ولم يحدث شيء، هدّأ نفسه بلهجة ساخرة : ((ما خطبي؟ أخِفت حقا من أنَّ جورج بخياله الآن قد يقتلني....)).
قطعت كلامه صيحة : ((جورج فعلها! اللعنة! لقد فعلها، قَتَلَهُ، وسيقتل ثانيةً، فهو لا يتوقَّف أبدا!)).
انتصب الشَّعر على ذراعيه حتى ماثل شوك القنفذ، ووثبت تفاحّة حلقه

---

[21] الخوف من المرتفعات (acrophobia)، الخوف من الأماكن الضيقة (Claustrophobia)، الخوف من العناكب (Arachnophobia).

مذعورةً محاولة الفرار من عنقه، وشعر بقلبه على لسانه يكاد يتملّص هاربًا من فمه، اختنق بأنفاسه حين سمعَ شيئا يَصدُم المرآة فجأة، *إيثان الآخر حبيس المرآة، سيستأجره جورج لقتلي*، تحرَّر من تعويذة التَّجميد التي ألقاها السّاحِرُ " خوف " عليه، وأسرع يجري إلى باب الحمّام ويُعالِج المزلاج بِيَدٍ تماثل كفّ العجوز ارتجافًا، في داخله كان الصوت الهستيري يصيح : ((**أسرَع، أسرَع، سيبلغُك**، ستُطبِقُ يداه حالما تعثران على رقبتك وتخنُقانِك حتى الموت، هيا، أسرع بحق اللعنة، اقتلع الباب واهرب بِأَقْ..)).
عاد التيّار وهلةً كما انقطع، وعاد الشيء يرتطِم بالمرآة من جديد ليثير فيه رجفة زحفت أفعى على عموده الفقري، أخذ في الالتفات ببطء وصوته الهستيري يصيح كالبانشي : ((لا تلتفت، إيّاك، لا تنظر، لاااااااا!)).
ولكنه عصاه والتفت ليصطدم ذلك الشيء الطائر مباشرة بِعَيْنِه.... إنها...

ذبابة !!ذبابة ضخمة من النوع الذي يئزُّ كالطائرات، ولكن لا يحسن القيادة، فيتخبّطُ مرتطما بكل جدار وكل سقف وكل مصباح قبل أن يجد نافذة غرفتك أخيرا فيصدُمها مرة أخيرة ثم يخرج.
دعك عينه بشدة، *جوناثان! سيقتُلني جورج بالحشرات كما فعل مع جوناثان.*
خطر هذا لإيثان قبل أن يرفع رأسه متوقعا تسونامي حشرات يُغرقه، ولكنّ الذبابة عادت تهجُم عليه مجددا وحيدةً خلا الحمّام إلا منها، *لا شيء... هل هذا يعني أن انقطاع التيار كان عاديّا، ظننت أن جورج سيقتلني... كيف؟... كيف؟... كيف صدّقتُ شيئا غير منطقي كهذا؟!!! لا بد أنه الإيحاء، ذلك التسجيل اللعين، ومُطابقةُ المكان* والظروف لوصف جورج القاتل جعلتني لبرهةٍ أظن أنّي سأُقتل على مُخيِّلةِ جورج، يا له من عار! راشِدٌ عاقِلٌ مثلي يخاف من هلاوِسِ مختَّل؟! قال لنفسه هذا وهو يحدِّق في المرآة، ينظر إلى إيثان الآخر الذي كان ينظر إليه وعلى فمه تتراقصُ ابتسامة استهزاء، ولكن ماذا عن الصيحة؟... لقد سمعتُ صيحة، من أطلقها إذن؟ فجأة سمع

الصوت الذي صاح سابقًا يتكلم مجددا، مسبوقا بقرعة خافتة على الباب :
((أبي، أبي، العشاء بَرُدَ أو كاد)).

لقد كان ابني! كيف لم أميِّز صوته أوّل مرة؟ ثم ما الذي دهاه حتى يصيح بصوت عال هكذا؟ وما المصادفة اللعينة التي جعلته يصرخ باسم جورج ويذكُر القتلَ في تلك اللحظة تماما؟ من جورج هذا؟ ومن قتل؟ سأسأله هذا ما إن أجلس إلى المائد.. تبا لهذه الذبابة! ((تعالي هنا يا حقيرة!)).
- ((ماذا؟!)).
- ((لستُ أُكلِّمك يا بيل، انتظرني على الطاولة فأنا قادم، دعني فقط أغسل يديّ بسرعة)).
سحق الذبابة على الجدار، ثم غسل يديه من دمها فيما وقف خاطران على باب عقله، يستأذنان في الدخول، الأوَّل كان ذكرى له هو حين كان يوسِع الضعفاء في مدرسته ضربا، يكيل لهم لكما حتى إذا تهاووا أرضا، مسحها بهم ركلا، كان الأمر حقًّا سهلا مثل سحق الحشرات، الثاني كان.. أنَّ القتل بالخيال لو كان حقيقة لكان القاتل والضحية مثلي أنا وهذه الذبابة، لا مفرَّ لها مني ولا قُدرة لها على مقاومتي، ليس باستطاعتها إلا أن تصير لُطخة دمٍ!
فَرَغَ من غسل يديه ففتح الباب ليخرج، ولكن قبل أن يفعل ثبَّت نظرة ثاقبةً على المرآة حتى كاد يخرِقها ليرى إن كان إيثان الآخر سيهتزُّ أو يجفل ولكن الآخر ضاهاه في التحديق، فاستسلم إيثان وقال في سره : *قد يكون ممثلا بارعًا أو انعكاسا بريئًا، الشَّيء الوحيد الذي أنا متيقن منه أني بدأتُ للتوِّ رحلتي إلى الجنون.*

تناول العشاء مع ابنيه والذي كان كالمعتاد بطاطا مقليّة، ودجاجة مشويّة، منذ هجرته زوجته إلينا وهو يشتري عشاءه من المطعم القريب، وقد ورَّث هذا لابنيه كما مرَّر لهما نصيحته الوحيدة لتفادي العواقب...
((اركضوا))، كانت هذه نصيحته، ((متى سنح لكم وإلا ستصبحون أفيالا))، كان يضحك كثيرا حين كانا صغيرين، إذ كانا يعتقدان فعلا أنهما سيتحولان

إلى أفيال، بالخراطيم الألفِيّةِ العضلات، والأنياب العاجيّة، والآذان الكبيرة القارِيَّة الشكل، كانا يعتقدان أنّ آذانهما ستبدو مثل قارة أمريكا الشمالية، وهو ما وجده طريفا فعلا، حين كبِرا قليلا عرفا أنّ " الفيل [22]" هو اللَّقب الذي يطلقه على كل بدين.

مع دخول الطَّعام إلى فمه خرجت الكلمات متطايرةً بين الفُتات المتناثِر :

- ((ما دهاك يا بيل حتى تصيح هكذا؟))، قال لابنه الأكبر بشدق ممتلئ، ((كِدتُ أُصاب بنوبة قلبية في الحمّام، أتشتهي لوالدك ميتة مغني الروك "ألفيس بريسلي"؟)).

سكت بيل حائرًا لا يعرف عمّا يتكلم والده بالضبط، ثم تذكَّر فانفجر ضاحكا، ((آه، أنت تقصد صرختي حين قتل جورج أحدًا آخر)).

كاد يختنق إيثان حين انحرفت لُقمة عن مسارها لِتسلُك طريقا مختصرا إلى موته، ازرقّ وجهه، وشرع يكحُّ ويسعَل، ولكنَّ هذا لم يوقفه عن الكلام، إن كان مُقدَّرا له الموت مختنقا بالطعام فعليه على الأقل أن يعرف من هذا ال"جورج" اللعين الذي يحمل نفس اسم ذاك الصبي القاتل "جورج" والذي كاد يقتُله خوفا لمجرد سماع اسمه.

ناوله جوزيف الصغير دورق الماء، فيما علَّق البِكر بيل مازحا، ولكن دون أثرٍ للدُّعابة على وجهه الذي اعترته نظرة قلقة متوترة : ((هيا يا أبي، لا تَمُت مثل "جوفري")).

أخيرًا رجعت اللقمة الضالة إلى الصراط المستقيم نحو الجَنَّ... المعِدة، فاستطاع إيثان أن يلتقط أنفاسه ويجأر : ((كِدت تقتل أباك الشرطي مرتين أيها الأحمق، أنت رهن الاعتقال، أحضِر الأصفاد من غرفة النوم يا جوزيف... هاها، أمزح، ولكن جِدِّيًّا، من جورج هذا؟ ومن هو جوفري؟ وما خطب كل هذه الأسماء البادئة بال"جيم" التي احتشدت لي مؤخرا، جورج، جورج آخر، جوفري، جيمس، جوناثان؟))، ثم ألقى على ابنه الأصغر نظرة اتهام وقال :

---

[22] خرطوم الفيل يحتوي على 40.000 عضلة، وأذنه تشبه القارة التي يعيش فيها.

((حتى أنت يا جوزيف)).
ثم رفع كوب المياه الغازية إلى فمه يجرع، فيما استمع إلى ابنه بيل يشرح...
- ((صِحت في صدمة لأن الروائي جورج ر. ر. مارتن قتل شخصيتي المفضّلة في سلسلة رواياته " أغنية الجليد والنار "، الشخصية التي لن أذكر اسمها كي لا أحرق الأحداث، ولكن لا تقل لي أنّك لا تعرف سلسلة الروايات الشهيرة تلك يا أبي)).

غطّى على عبارة بيل الأخيرة صوتُ جوزيف الذي ارتفع متحمسا فجأة :
((بالطبع، لن تحرِق الأحداث، أتَحرِقُ الأطفال القُصَّر؟! إنه تلاعب لفظي، هل فهمته؟ الأحداث بمعنى الوقائع، والأحداث بمعنى القُصّر، أنا عبقري، أليس كذلك؟)).
صرخ إيثان فيه مُوبِّخا : ((دائما أقول لك يا جوزيف، لا تقاطع من هو أكبر سِنًّا في الحديث، ثم ما هذه السخافة التي تفوَّهت بها؟ تلاعب لفظي؟ صبي مجنون واحد في الشهر يكفي، أتعرف ذاك القاتل الغبي " جورج" الذي حدّثتك عنه قبل أسبوع؟ ذاك الأبله ما انفكَّ خلال اعترافه يُتَوِّرُ[23] الكلمات ويتلاعب بمعانيها ثم يعلن لي مبتسما ببلاهة : ((هذا تلاعب لفظي، هذه تورية، أفهمتها؟ أفهمتها؟)). تمنّيتُ حينها لو كان شنق المجرمين السَّمِجِين ضمن صلاحيات الشرطة، كنت لأعلِّقه بربطة عنقي هناك في الخزانة! لم أر في حياتي قاتلًا في مثل حماقته، يلقي النكات ويلعب بالكلمات خلال اعتراف! اعترافٍ لم يرغمه عليه أو يطلبه منه أحد!)).
خبا الحماس في عيني جوزيف بعد أن داس أبوه على جذوته وأطفأها.
قال بيل : ((جورج، محاكمته لا تزال جارية؟ لا زلتُ لا أصدِّق أنه هو من فعلها، كيف يمكن لفتى بمثل خجله، وانطوائيته، وهدوءه، وحِلمه وخضوعه الذي يصل لحد الخُنوع أن يقتل؟.. مهلا، ألِهذا خِفتَ حين صِحتُ أنا "جورج قَتَل " ؟)).

---

[23] يُتوِّرُ : أي يلقي تورية أو تلاعبا لفظيا، وهو فعلٌ من ابتكاري.

((الآن اكتشفْتَ ذلك يا عبقري؟!))، سأل متهكما ثم قال بجدية ،((هو من فعلها، أؤكد لك، أنت لا تعرف شيئا، إنه قاتلٌ سايكوباثي، وكلِّ القتلة المتسلسلين السّادِيين معروفون بميلهم إلى الانطواء، وبمظهرهم الهادئ الخجول، ولكنهم في الحقيقة ذئابٌ متوحِّشة متعطِّشة للدماء تتوارى تحت جِلدة حملان، ولكن دعنا من هذا، كفاني حديثا عن المجرمين، تبًّا لهم! فهم لن يحرِموني السَّمر مع ولديَّ)).

كرر جوزيف وراءه مُغتنمًا فرصة الشتم التي سنحت : ((نعم، تبا لهم جميعا!)).

فقال أبوه : ((هؤلاء هم الوحيدون المسموح لك بِسبِّهم... آه، أجل، سألتني يا بيل عن " أغنية الجليد والنار "، أنا لم أقرأ الروايات ولكني أعرف المسلسل المقتبس عنها " لعبة العروش"))، ثم وجّه نظره إلى جوزيف وقال، ((وهو مسلسلٌ ليس فيه أيَّة مشاهد تخدش الحياء)).

لم يستطع بيل الحفاظ على قناع الجهل طويلًا، إذ افتُضِحَ أمره من الدَّهشة الصَّارخة على وجهه " ليس فيه مشاهدُ تخدش الحياء؟!!! ".

رحمه أبوه فلم يفضحه بل واصل كلامه ليقلِب المعنى وطواطًا، أقصد رأسًا على عَقِب : ((ليس فيه مشاهد **تخدِش الحياء**، بل فيه مشاهد **تغتصِبه هو والحشمة** في آنٍ واحد! ذلك المسلسل بالوعةُ فِسقٍ، مجونٍ، وفجورٍ، كيف بحق اللَّعنة سمحوا بعرضِه؟!! ثم كيف حصل على كلِّ تلك المشاهدات؟!)).

قال ابنه بيل : ((ولكنَّ الروايات تحلُّ مُشكِلَ الإباحيّة هذا، حين تقرأ يمكنك ببساطة أن تتخطَّى المقاطع الفاضحة، أما في المسلسل فلا تستطيع، كما أنّ الروايات أفضل من المسلسل من جهةِ أنّ فيها شخصياتٌ مثيرة كثيرة كلٌّ منها لها عقلِيّتها الخاصة بها، وأماكنُ خلّابةٍ باهرةٍ، ومشاهدُ فانتازية ساحرة، وقصصٌ رائعة آسرة حذفها المسلسل بالكامل بسبب الميزانِيّة المحدودة ووقت العرض المحدَّد، ويا للمفارقة! فهذا هو أصلًا ما دفع

"جورج ر. ر مارتن" إلى الانصراف عن كتابة السيناريوهات إلى تأليف الروايات، فحين تكتبُ روايةً تكون محدّدًا فقط بسِعة مخيلتك وخصوبتها، فالخيال ليس له حدود)).
أجابه أبوه بعد أن جرّد عظمة فخذ دجاجة من معطف لحمها، ثم أمسكها عاريةً وسدّدها إلى ولده وهو يقول : ((ما الذي تهرفُ به يا ولد؟ هل خرِفت؟! لا أحد يعتقد أنّ الروايات أفضل من الأفلام سوى المجنون، لو خيَّرتُك الآن بين الذهاب إلى السينما أو المكتبة لاخترت الأولى فكفى نِفاقا، ولكن لنقُل أنّك حقاً عثة... لنقل أنك عُثَّةُ كُتبٍ، أودُّ أن أسألك إذًا، ما المثير في رؤية الأحرف والكلمات والجمل والفقرات؟ الأحرف مهما نظرتُ إليها ومهما حملقتُ تبقى جامِدةً ميتةً كالمومياوات، لا تُحرِّكُ فِيَّ شيئا، ولا تُشعِرني إلَّا بالنُّعاس، على عكس الأفلام التي تُقدِّم لك المشهد كاملا دون حاجة إلى التخيُّل، ما عليك سوى أن تجلس وتلتهم الفُشَارِ فيما اللّقطات تتوالى سريعة، بووووم! ها هو يلكمه، باااام! ها هو يركله، في الروايات حين أقرأ ذات المشهد اللعين، لا يثير ذلك فِيَّ أيَّ شيء، مكتوبٌ هنا أنَّهُ نزف كثيرا ومات، أعَليَّ أن أبكي الآن؟)).

هذا ما كان يشعر به إيثان، وهذا ما دفعه للتخلِّي عن المطالعة بعد ثلاث روايات فقط، اثنتان لأغاثا كريستي، وواحدةٌ بعنوان " علامة الأربعة " لآرثر كونان دويل، بعدها بدأ بمتابعة الأفلام المقتبسة عنهما وكانت أروع بكثير.
غيَّر الموضوع حين لاحظ أن بيل صَمَتَ فجأة كابحًا نفسه عن مواصلة النقاش : ((أوه... هل أخبرتكما قبلُ عن آمي؟ تلك المحامية التي تدافع عن جورج)).
ردَّ بيل : ((لا))، ثم سأل بمكر : ((ولكن لماذا؟ هل تفكر في الزواج ثانية؟)).
((أعووووذ بالله!))، صاح إيثان مباشرة دون تفكير.
قهقه جوزيف وبيل ضاحكين من ردَّة فعله، ((أهي دميمةٌ إلى هذا الحد؟!!)).

- ((لا، ليس مظهرها هو ما أتعوَّذ منه بل هو لسانها الطويل السَّليط، واضح أنها " نِسويّة " فهي مُسترجلةٌ، مثلما كانت أمُّكما تماما، أنتم تعرفون ماذا يقُلْنَ... الرِّجال استعبدوا المرأة منذ فجر التاريخ، آدم كان يجلِدُ حوّاء بالسَّوط في الجنَّة!..)).
صاح ابناه في صدمة : ((ماذا؟!))، قبل أن ينفجرا ضاحِكين لغرابة قوله.
قال إيثان لنفسه : *يبدو أنّ الكوميديا تناسبني أيضا*، ثم واصل نثر دُعاباته ونكاته السَّوداء كالحلوى يلتقطها بِلِسانه من سلّة الفكاهة، ((الرجال سبب كلُّ ما في العالم من شرٍّ، أنا لستُ من فتح صندوق الباندورا، تلك خرافةٌ ليس إلا...
((أنتم أيها الرجال سبب الحروب والمجاعات))، يقُلن هذا ثم حين يُغيرُ الأعداء يصرخن : ((هيا، هُبُّوا للدفاع عنا، اقطعوا رؤوسهم وكلوا أكبادهم! صلواتنا معكم، سندعو لانتصاركم))، ثم يُودِّعن أزواجهُن بالقبلات الحارّة وهنَّ يهمِسنَ في سِرِّهن بسرور : ((أووووه! أجل! أخيرا !لقد تحقّقت أمنيتي، سأصبح أرملة! أين الميراث يا تُرى وأين هي الوصية؟!!)).
((هاها... أبي، توقف، توقف، أرجوك، ستقتلنا ضحكا)).
((لا، لا، لم تسمعوا الأخيرة بعدُ، تجهّزوا لها، ها هي... النسويات جميعا بمن فيهما آمي وأُمُّكُمَا إِلينَا لا يستطعن ابتلاع هذه الحقيقة المرّة، لن يصبح النِّساء رجالًا أبدًا تماما كما لن يصير المتحوِّلُون جِنسيًّا نساءً أبدًا، فهم مجرد مخصيِّين هاها)).
حلَّ الصمت فجأة ضيفا على المائدة، توقَّف ولداه عن الضّحك، ونَظَرَا له في لومٍ قبل أن يقول أكبرهما : ((أبي، هذا ليس مضحكا، المتحولون جنسيا لهم حقوق، وعليك أن تشير إليهم بالضمير المناسب لهم و...)).
قاطعه إيثان : ((هلّا أطبقت فمك وأرَحْتنا، سئِمتُ سماع هذه الخُطَب في الشارع، فلُذت بمنزلي فرارا منها فقط لأجد ابني يُبَغْبِغُها عليّ، **حرية تعبير زائفة!** يمكنك أن تلعن كلّ إله، وتشتم كلّ دين، ولكن إيّاك، إيّاك أن تَصدُقَ

القول سمينًا وتصارحه بأنه بدين، والويل لك إِنْ قُلتَ لشاذٍّ أنه مُخنَّث رغم أنّ هذه حقيقته)).

- ((أبي، لا تقُل...)).

- ((قلتُ لك **أطبق فمك**، لن أسمح لِصبِيٍّ علَّمته أنا كيف ينطق كلماته الأولى بإخباري الآن أيَّ الكلمات عليَّ أن أستعمل، كلُّ سمينٍ بدينٌ، وكل شاذٍّ مخنَّثٌ، وكل متحوِّلٍّ مخصِيٌّ، وكل مُسترجلةٍ نسخة ذكرٍ زائفة باهتة، وَلْيَصحَبْهم من يقول غير هذا إلى الجحيم! لقد فقد العالم عقله، أجل، فَقَدْ فَقَدَ الناس عفولهم وأضحت القيامة وشيكة، أنت تتيّقنُ من هذا حين تصير مسألة "من يحقُّ له أن يضاجع من" أشدَّ خُطورةً من مسألة "من خلقنا وهذا الكونَ ولماذا؟ ")).

- ((أبي، هل يمكنك رجاءً أن تغير الموضوع؟ لقد فسُد مذاق الطعام الآن)). - ((تَبَّلْتُه بالحقيقة المرّة، عليك أن تتعلَّم كيف تبتلعها))، وضَع خاتمة للجدال بهذا، وقام ناهضا دون أن ينهي طبقه وهو يتمتم : ((لقد جُنَّ الجميع! فقدُوا عقولهم!)).

ذهب إلى غرفته، وأغلقها على نفسه، وقال لنفسه : ((أيُّ زمن لعين أعيش فيه، زمن اندثرت فيه النّخوة، وانقرضت فيه الغيرة، وأضحى الرَّجُل فيه عملة نادرة، لن تجد واحدا حتى في الألف، حتى الذكورة والأنوثة فقدا معناهما فصار هناك 70 جِنسًا لعينا، يصبح الرجل ذكرا ويمسي أنثى ويبيت شيئا لا يُعرف كُنهُه، الولايات المتحدة الأمريكية صارت كلمة تجمعُ بين السِّيرك وحديقة الحيوانات ومِصحِّ المجانين، ((نادِهم بالضَّمير الذي يرتاحون له، أو استعمل الضمير "they"))، لقد وجدتُ ضميرا أحسن، إنه " it " فهو يلائمهم تماما، ولكن لو تجرّأتُ وقلتُ أيًّا من هذا، فسيُقيلونني عن عملي... حريّةُ التعبير، يا للمهزلة! المأساةُ هي أنهم يزرعون هذه الأفكار في الجيل الصَّاعد من خلال الأفلام والمسلسلات، مشاهدٌ قصيرةٌ قليلةٌ كقطرات السُّم يدسُّونها في ساعة من الإثارة والتشويق فتتغاضى عنها

لضآلتها، ولكنّك لا شُعُوريًّا تألفُها حتى يصبح الجَلَلُ هيِّنًا، ويصير الشاذُّ عاديًّا، الألعن هي هذه الأفلام الجديدة التي تُعطي دور البطل للشّواذ والسُّحاقيات، وما لم تكن راشدًا ذا مبادئ راسخةً حين تشاهدها فستُزعزعك شيئا فشيئا، حتى تجد نفسك ذات يوم قد فقدتَ جميع قيمك ومبادئك، وأصبحتَ لا تتورَّعُ عن مشاهدة أيِّ شيء، إنّه حقًّا لزمنٌ لعين! يكاد المرء يتمنّى لو لم ينجب هذه الأيام)).

وما إن خطرت له هذه العبارة الأخيرة حتى ندم عليها : ((لا، لن أسمح لشيء أن يحول بيني وبين ابناي، حُبِّي لهما دائمٌ مهما كان، ولسوف أُعيدهما للطريق السّوِيِّ)).

قالها ثم انتعل حذائيه، وغادر غرفته إلى المائدة من جديد، حيث كان ابنه جوزيف جالسا وحاسوبه على فخذيه، سأله : ((ماذا تشاهد يا جوزيف؟)).

أجاب جوزيف : ((فيلم " باتمان " الجديد)).

قال لولده الصغير : ((حسنا، يمكنك أن تشاهده، إنه رائع ولكن إيَّاكَ... إيَّاكَ أن تشاهد هذه..))، وبدأ يعدُّ عشرة أفلام بعينها على أصابعه وجد فيها مشاهد فاضحة، دون أن يدري أن ابنه يتذكّرُها، ثم يكتبها في قائمة ليبحث عنها في الأنترنت فيما بعد، فالأفلام التي يُحرِّمُها عليه أبوه هي الأفضل على الإطلاق!

ذهب إيثان للمطبخ لإحضار قارورة ماء، وحين عاد وجد جوزيف يكتبُ بسرعةٍ على ورقة، *أوه... إنه يكتب، ولكن لا بأس فهو يمارس الرياضة أيضا، جبهةٌ منتفخةٌ وعضلات مفتولة، لا بأس بهذه الصفقة على الإطلاق.*

سأله بيل نازلًا عبر السَّلالم : ((أأنت ذاهب للجري الآن؟!)).

- ((نعم، شَغَلَتْني المحاكمة فلم أمارس أيَّ تمارينٍ اليوم، وأنت لا تريد لأبيك أن يمشي على عُكاَّز في سبعيناته، أليس كذلك؟))، سأل ثم تابع متفاخرًا، - ((في الخمسين من عمري ولا زِلتُ أجري كرجل في الخامسة والثلاثين، وهذا يرجع فضلُه إلى التمارين المكثَّفَة)).

- ((أنا آسف يا أبي، ولكن عليك حقًّا ألَّا تقول...)).
قاطعه إيثان فهو لا يريد الخوض في جدال آخر: ((قَبِلتُ اعتذارك، وداعا، أقفِل الأبواب ولكن ليس بالمزلاج، سأبيت في العراء لو فعلتها))، ثم ضحك وخرج.

كان هواء الليل مُنعِشًا، انطلق يركض متمهِّلا كحصانٍ يخِبُّ، وهو يزفر ويشهق بين خطوة وأخرى. لاحظ خُلُوَّ الشارع من الناس، فقلائل من يسهرون حتى اليوم التالي.
انتقل من شارعٍ إلى شارعٍ، وعَبَرَ الطرق الضيقة معتزما ألا يتوقف حتى يهلك تعبًا، لم يجد صعوبة في العثور على طريقه فهو يعرف المدينة كما يعرف ولديه، وهذه المعرفة تجمعَّت لديه من دوريَّاته اليومية.
فيما كان يجري راح شارِباه الفخمان يهتزَّان على شفته العليا، هل يبدُوان سخيفين؟... ربما ولكنَّ إيثان لا يبالي، فهكذا يبدو قُدوتُه المحقق پوارو[24] ، من النَّادر أن تجد أحدا أُسْوَتُه شخصيّة خيالية، ولكنّ إيثان كذلك...

أخيرا وصل إلى شارع ضيق يرتفع في المنتصف صعودًا على تلَّةٍ، أسرع يجتازه واستغرق الأمر حتى وصل إلى محلِّ الأدوات المدرسية ليدرك...

هذا هو الشارع حيث حَلَمَ ذلك القاتل بجرائمه، أحلام يقظته كلها انتهت هنا، في استخفاف فكَّر : ((شيء سخيف أن تزعم أن أحلامك تتحقق... ماذا لو تخيلتُ أحدا يموت الآن ثم مضى عام وقابلته؟ سأُثبت حينها... مهلا... القدرة لجورج وحده، إنها ليست مرتبطة بالشارع بل بجورج، هذا زعمُه)).

عاد أدراجه ليتفحّص الدكاكين، متجر ألعاب، واحد آخر للساعات، محل للوشم، متجر للحيوانات الأليفة وعلى حائطه إعلان كبير مكتوب فيه :

---

[24] بطل روايات أغاثا كريستي.

احصل على عنكبوتك!... صورته تُمثِّل عنكبوتا مُشعَّرا ضخما بشع المنظر، إلى جوار المتجر ورشة نجارة ألمنيوم ثم مكتبة أخرى تبيع أدوات مدرسية.

مثل أيِّ شارع آخر، محالٌّ تُروِّج بضائع مختلفة متباينة اصطفَّت متجاورةً في عشوائية لا تُصَدَّق، إيثان يُحبِّذُ ما كان موجودا قديما، سوق لكل حرفة، سوق الدبّاغين، سوق الجزّارين... هكذا يمكن للمشتري إيجاد سِلعته المنشودة كلها مجتمعة في مكان واحد، بحيث يقارن بين الأسعار بسهولة ويعثُرُ على ما يناسبه بيسر.

هزّ كتفيه، حسنا... من المثير تجربة ما كان يمرُّ به الصبيُّ، من أختار؟... هذا؟!... هذا زميلي في الثانوية، لماذا تذكّرت وجهه الآن؟... لا يهم، فأنا أعرف نضوب خيالي وعِقَمه، كل شيء سيكون ضبابيًّا ومعوجًّا وقبيحا و...

كل شيء واضح ومفعم بالحياة!!!... ها هو أمامي، زميلي القديم "كريستيان" إنه في حمّام، مرحاض من نوع خاص فاخر، هذا الملصق هنا عليه رسم طائرة... من يضع ملصقا في حمّامه؟!... لا بد أن هذا فندق، والآن لنبدأ العمل... سأتسلل ببطء نحوه بينما هو مُديرٌ ظهره لي، إنه يغسل وجهه ويديه كما يبدو، وهو سمينٌ كما اعتاد أن يكون، سرواله الجينز مُرتخٍ بعض الشيء، واو!... أنا أتخيل كل هذا، لم أكن أعلم أن خيالي بهذه الخصوبة، والآن سأحيط عنقه بذراعي كما لو أني أعانقه من خِلاف و... قَبِّل!... أقصد... اُخنُق... اُخنُق... اخنق ولا تتركه يُفلت، اقتُل هذه الصورة الزائفة في خيالك، وجهه محمرٌّ بالفعل ولكنه يخبط بذراعيه مقاومًا ويطوِّح بهما عشوائيا، يداه المبتَلّتان تحاولان الوصول إلى وجهي...

صورة في خيالي تقاوم؟! المفترض بها أن تستلم وتموت، أنتِ تحت سلطتي، ستموتين متى أرغب وتقولين سعيدة قبل أن تفعلي : ((سمعا وطاعة يا صاحب الجلالة)).

ولكن الصورة ما فتِئتْ تصارع كما لو أنها تتشبث بحياتها... بروحها، أيُّ روح وأيُّ حياة؟!... أنتِ في خيالي ولستِ شخصًا حقيقيا، هيَّا موتي فورًا... ولكنَّ عُنقَ كريستان فجأة انساب من بين يديه، عاد يقبِضُ عليه مجدَّدًا فتملّص منه مرة أخرى بطريقة غير منطقية تماما، كان بين يَديَّ فكيف أضحى هناك؟!... تعال إلى هنا ثانية... مهلا... كان بين ذِراعيَّ للتوِّ فكيف بات هناك؟!... هذه المرَّة ستكون الأخيرة، لن أسمح لرقبةِ هذا الرّجل الصّابونِيّة بالتملُّص من بين أصابعي...

وها نحن ذا نعمل على إنهاء آخر لحظات هذا السمين... عنقه الثخين مُطوّقٌ بقبضتي القويّة، أظافري منغرِسةٌ فيه بعمق، وجهه مُزرقٌّ، إنّه يفقد الوعي...

واحد... اثنان... تبا!.. لقد زاد عمره لحظة حين دفع نفسه إلى الخلف، ولكن لا داعي للقلق، فلن أسمح لصورةٍ مُتمرِّدةٍ في خيالي بالتغلُّب علي، لقد أصبحنا فجأة أمام المرآة... وأنا الآن أرى بوضوحٍ ملامِحَ زميلي القديم كريستان، تلك الشَّفتان الغليظتان، ذلك الأنف الكبير، وتلك الخدودُ الممتلِئة التي اعتدتُ قَرْصَها مُعابثًا، النُّدبة أعلى عينه اليمنى، الشَّعرُ الأشيب الذي بدأ يشتعل منذ كان في الثانوية، أوه! يا للهول! إنه يبدو حقيقيا للغاية... لعابه يسيل على يدي، يدي البارزةُ العروقِ التي تحاول خنق أنفاسه و...وجهي...إيثان الآخر!!!.. إنه يضحك بوحشية!

إنه يخنُق انعكاس كريستان في المرآة مستمتعا وقد أفصح أخيرا عن حقيقته أم...

أم أنني أنا من يضحك؟!... أأنا من يقهقه بهذا الشّكل كمن يتلذّذُ حقًّا بما يفعله؟!... فجأة أسمُع قَرْعًا على الباب... كريستان جثّةٌ بين ذراعيَّ هامدةٌ مُزرقَّةَ الوجهِ بشكل مُريع، وجهه يبدو كثمرة يانعةٍ توشك على الانفجار، ماذا لو انفجرت؟! ماذا لو تناثر سائل أزرق كريه عليَّ بعدها ؟!!... ماذا لو...

لاهِثًا استيقظ إيثان ليجد نفسه مستندًا إلى حائط متجر الأدوات المدرسية، اللعنة!.. كان ذلك خيالًا بشِعًا بِحقّ، من أين لي أنا القاحِلُ العاقِرُ الخيالِ بهذه الخصوبة وهذا الغِنَى في التفاصيل؟!!... هذا يبدو كحُلُمٍ أو كابوس، كما لو أنني كنت نائما حقا، فالنوم هو السبيل الوحيد لي ليبدو خيالي حقيقيا لهذه الدّرجة...

هدَّأ قلبه ولاحظ بخوفٍ أنّ أصابعه مُتشنِّجةٌ كما لو أنه كان يقبِضُ بشِدَّةٍ على شيءٍ ما... حنجرةٍ ما ربما!..

لا تكن سخيفا، حتى لو كان الحلم واقعيا إلى هذه الدرجة فلا يمكنه أن يتحقق، الواقع والخيال عالمان منفصلان لا يمكن أن يمتزجا... أبدا... أبدا، فكَّر إيثان ثم عاد إلى منزله مغادرا شارع " ليمونا " بِخُطًى واهنة.

****

تصفّح توم جريدة "يو. أس. آي توداي" واثبا بعينيه على العناوين، كالعادة منذ أسبوع كان العنوان الرئيسي**: الجرائم الخارقة للطبيعة التي تتحدى العلم الجنائي**، وتحته صورة لجوناثان وبطنه المفتوح العامر بالخنافس والعناكب والعقارب والصّراصير، مع ملاحظة أنَّ فمه لا يزال مفتوحا بينما ساقان تتدليّان على حافَّتِه أشاح توم بوجهه ممتعضا وهو يفكر : *هيا، التقطوا صورة أخرى أيها الصحفيون الملاعين!... أم أنَّكم تعرِضونها عمدًا في كلِّ عدد لتُروِّعوا القراء؟...*

أمسك فنجانه ورفعه من المطار الذي كان الصحن المدور الأبيض، ثم طار به نحو شفتيه، أفرغ دفقة من الركاب، ثم عاد بالآخرين وهم يحمدون الله على أَنْ مدَّ حيواتهم وعاد بهم سالمين إلى المطار.

كان توم في مقهى متوسّط الحجم يُطلُّ على البحر، وككل مقهى كان يمنحك الخيار بين الجلوس في الخارج حيث الهواء المنعش النقيّ، أو الداخل حيث رائحة السّجائر الخانقة، وقد فضّل توم الأكسجين على الكربون. بعد برهةٍ

جلب غلامٌ طلبه واضعا على الطاولة قطعتين من "المِيلفاي"، شكره، ثم خلع كمّامته، وحملق في الخطوط السوداء التي تقطع سطح الكعكة الأبيض، ألقى لنفسه دُعابةً : *كان الأجدر بالفرنسيين أن يُسمُّوها كعكة حمار الزرد ولكنهم كانوا أكثر تأدُّبًا هاها*، أخذ قطعة في يده وقضم منها جزء كبيرا قبل أن يردّها إلى صحنها جريحةً مُمزّقةً، ثم التفت ناحية البحر ورأى أضواء السفن العابرة التي تمخُر عبابه، كان البحر ممتزجا بظلمة الليل، مزيجٌ من الأزرق الغامق والأسود حتى لَتَكَادُ تخالُ تلك السُّفن حين تنظر إلى أنوارها طائراتٍ تُحلِّقُ مُنخَفِضةً.

تنهَّد وفكر أنَّ المحاكمة هذا اليوم مرّت على ما يرام، ليس تماما كما يريد ولكن لا بأس، أدِلّته لم تكن كافية ولكن، اللعنة! *لقد فعلها بطريقة ما، ذلك الصبي أقرب لأن يكون شيطانا، إنه يعلم التفاصيل فلابدَّ إذًا أنّه فعلها دون أن يترك بصمة أو حمضا نوويا، وهل يملك الشَّيطان حمضا نوويا وبصمة؟!... بالطبع لا...* ولكنَّ توم لن يُخبر القاضي بهذا فهو لن يصدِّقه، وهنا تكمن المعضلة، راوده هاجس مخيفٌ بأنّ جورج قد يُطلَق سراحُه ويخرُج بريئًا، تخيَّل بمن سيبدأُ لو كان انتقاميا... بالطبع بي أنا وإيثان، حدّق في الجريدة مجددا محاوِلا عدم التفكير في الأمر، وبينما يقرأ ترك الحلاوة تسيل على لسانه ممزوجة بلُذُوعَة القهوة، **حريق، سرقة، جريمة، اعتداء، مظاهرات، مقتل جورج تايلر وإليزابيث لويس** وحَرِي.. مهلا!.. ما كان ذلك مجدّدا؟!!... جورج تايلر اسم مُعلِّمي في الجغرافيا، ذلك الأستاذ الذي قتلته في حُلُمِي ذاك المساء!.. لا، يا إلهي، اجعلها مصادفة، اجعلها كذلك، تمنَّى هذا من أعماقِ قلبه وهو يقرأ : ((الزَّوجان اللَّذان كانا يُمضِيان شهر العسل في فلوريدا وَجَدَهما جارُهما في الفندق كريس مقتولين في الحمّام، كانت أجسادهما مليئة بالطلقات، حوالي مئةِ رصاصةٍ!... ((ثقوب! ثقوبٌ حمراء!))، هذا ما صاح به الجار المرتعب، ولقد تَمَّ أخذُ الطَّلقات للتعرُّف على عِيارِها، والتَّحقيق جارٍ على أشُدِّه للقبض على هذا القاتل المتوحش

على حدّ وصف الضابط كريستان.
سقط الفنجان أرضًا طائِرةً هوت قبل بلوغها المطار، وانسكبت القهوة وتناثرت الشّظايا، في نفس اللحظة، بصق توم ما في فمه من كعكة حمار الزرد على الجريدة لتحجِبَ تماما اسم الأستاذين، خطرت بباله فكرة واحدة قبل أن يهوي برأسِه على الجريدة مُغمًى عليه وتلتصق بجبهته الكعكة: *قتلتهما بخيالي!*

****

هزَّ جورج رأسه بعنفٍ ليزيح عنه صورة أخرى، فيها رأى نفسه يحمل مضرب بيسبول بينما إيثان يركض نحوه مُرغمًا كما يبدو من النَّظرة المرتعبة على وجهه، كما لو أنه لا يتحكم في ساقيه اللَّتان راحتا تخطفان الأرض به خطفا غير طامعتين في فدية، ها هو يقترب من مدى ذراعه، ثبَّت جورج قدميه بالأرض وهو يدوِّر المِضرب متجهزا لتحطيم جمجمة هذا الضابط الخائن الكذّاب و...

قَطَعَ الصورة وشوّشها بالتلفُّت يمينا ويسارا دون توقف، نظر له القاضي باستغراب وقال : ((أهناك ما يُقلقُ راحتك يا سيد جورج؟)).
لا تنادني هكذا، لا تذكِّرني بجيمس، فكّر جورج ثم ردّ : ((لا، إنها فقط... لِنقُل عادةٌ... عادةٌ غريبةٌ، أرجو أنها لا تزعجك)).
تحدّث بهدوء فهو يعلم أنه لو انفجر الآن فَلرُبَّمَا يُدخِله هذا السجن.
- ((حسنا، إذًا... لنستمع لنتائج الفحص النفسي)).

بدأ ساموِيل الكهل الطيِّب يُكرّر على مسامعهم ما أخبره به مساء أمس، كان الطبيب رفيقًا به، أجرى له بعض الاختبارات، ثم جلب له الرواية حين أخبره أنه يرغب حقًّا في معرفة نهايتها، ونهايتها كانت شنيعةً فِعلًا على عكس بدايتها الرومانسية تماما، بعدما أنهى القراءة جلس ساموِيل على كرسي أمامه وسأله عن رسوماته الدّمويّة، فاعترف له جورج بأنّه يرسمها ليُنفِّس

عن غضبه وقال أنه إن لم يفعل فستهزمه الأخْيِلَة القاتلة، وتسيطر عليه وهو يخشى عاقبة هذا، ولَشَدَّ ما بَهتهُ أن يرى الطبيب يبتسم ويخبره أن التنفيس عن الغضب شيء جيد، فما لم يُنفِّس عنه الإنسان وكبته داخِله فسيؤدي به إلى الانفجار، سمح له بعدها بمشاهدة الوثائقيات فيما دوّن هو ملاحظاته بصمت، وحين طلب منه جورج أن يغيّر القناة لأنها كانت تعرض أفاعي الأناكوندا وهو أصبح يخشاها بعد أن غرس الروائي الذي كان يقرأ له ذلك الخوف في أعماقه، حينها استجاب الكهل ببساطة وفعلها، جعله هذا يستشعر الحنان والرِّفق لأوّل مرة منذ دخل مكتب ذلك الضابط واعترف..
سرد عليهم ساموبل ملاحظاته وختم كلامه بإعلانه النتيجة، جورج ليس سايكوباثيًّا، إنه يشعر بالنّدم والذنب وهذا ليس من شِيَمِ السّادِيِّين.
دمدم إيثان غاضبا حينها فأمره القاضي بالتزام الهدوء، هزّ جورج رأسه مرتين وهو يتخيل...

الشاربان المُشّذبان السخيفان ينموان ويزحفان ليتدلّيا على جانبي ذقنه على شاكلة شوارب المغول، ولكنهما لا يتوقفان هناك بل يستطيلان ويلتفَّان حول العنق في عُقدة جميلة مشكِّلان أُنْشُوط...

لا، لا، ابتعدي عني أيتها الشياطين!

ينحني نابا إيثان إلى داخل فمه، ثم يستطيلان فجأة حتى يصبحا مثل نابَيِّ مصاص دماء ولكنهما لا يتوقفان، بل ينعقِفان داخل فكِّه السفلي ليصيرا في حجم أسنان فأرٍ حين لا يقضم شيئا لمدة طويلة، أخيرا يضغطان على لسانه بشكل خطير مهدِّدين بخرقه والخروج من...

لا، لا، يجب ألّا أفكّر في هذا، لن أقتل مجددا، سأتوقف، سأتعالج.

التفت نحو الشاهدين الأخيرين اللَّذين أحضرهما توم، إلينا صديقة ويتني المقرّبة التي أخبرتهم أنّ القتيلة حكت لها كيف أطلَّت من النافذة، ورأت ما يكتب جورج، والذي كان لغزا مثيرا انتاب نصف فتيات الصَّفِّ الفُضول

لمعرفته، ثم قالت لها أنَّ الغريب أنه لم يغضب إطلاقا وختمت روايتها بقولها : ((إنه طفلٌ لطيف)).

باكِيةً أنهت إلِينا حكايتها، ونزلت من المنصّة مترنحة، فيما جورج يفكر : *طفل لطيف، هاه؟... لقد عرفتِ الآن قَدْر لطفي، طبعا، فعلتِ... أوه، تبا!.. لقد قتلتُها، لا يجب أن أفكر هكذا... أين الندم؟!.. هل غادر بهذه السرعة؟!*

أخيرا بدأت آمي دفاعها والذي كان... رائعا بحق، حتى أن جورج أحسّ كما لو أنه وسط قلعة حصينةٍ حيث لا تطالُهُ ألسنة المتَّهمين، بدأت بإسماعهم مقتطفات من اعترافه، منتقية الأقل قسوة ووحشية، ثم قالت أنَّ مُوكِّلها اعترف بأنه حَلَمَ بثلاثة جرائم، فلماذا اختار الضابط أن يتّهمه فقط بواحدة، ثم أجابت على نفسها قائلة لأن تلك الجريمة تمثل فرصتهم الوحيدة فهي واقعية وقابلة للتصديق، قررت بعدها أنّه إن كان الاعتراف يضُمُّ تفاصيل دقيقة عن الجرائم الثلاثة معًا فإمّا أن يُتَّهمَ جورج بجميعها أو يُبرّئَ منها جميعا، قالت بعدها أنه بناءً على هذا فستبدأ بكشف الثُّغرات في كل جريمة، أتت بمختصٍّ في الحشرات أخبرهم أنَّ عشرة من الأنواع التي عُثر عليها في بطن جوناثان لا تعيش في أمريكا أصلا، ومستحيلٌ لفتى في مثل سنِّه أن يحصل عليها فهي نادرة للغاية، صعد للمنصة بعده عاملٌ في محل للوشم قال أنَّ الوشوم التي كانت على جسد جيمس تستغرق 38 ساعة لِرسمها، سألتِ المحاميةُ متهكّمة إن كان جورج قد دخل إلى الحمّام مع جيمس وبقي 38ساعةً يُوشِّمه قبل أن يُقرِّر قتله، أتت بعدها بِ " أيدن " وهو الأغبى والأكثر شغبا في عصابة جوناثان، أعلن أَيْدَنْ بلهجة الشارع المبتذلة التي يستعملها أن جورج لا يقدر على هزيمة جوناثان ولا جيمس : ((جورج هذا يهزمُ الزعيم جوناثان؟!.. آر. آي. پي... لا يمكن هذا فهو ليس لديه الأحشاء، الزعيم جوناثان ضرب الغائط خارجا مِرارًا،[25] لا يمكن لهذا المخنّث أن..!)). ((هاي!... انتبه

[25] تعبير أمريكي عامي " beat the crap out of him "، هذه ترجمته الحرفية أما المعنى فهو أبرحه ضربا.

للغتك، حسنا، لقد أدليتَ بشهادتك فانزِل من على المنصة)).
أبى الفتى النزول وبدا كما لو أنه يرغب في إلقاء نعي على زعيم العصابة جوناثان ولكن أحد الحراس سحبه من تلابيب قميصه وجرّه خارج المحكمة، اعتذرت آمي عن تصرُّف شاهدها قبل أن يقاطعها المدَّعي مايكل قائلا : ((مهلا... هذه محاكمة لجورج بتهمة قتل ويتني، وليست مُتعلِّقةً بالجريمتين الأخريين، سيدي القاضي، المحامية عليها أن تدافع في حدود القضِيّة المطروحة فقط)).
قالت آمي بثقة : ((حسنا، سأفعل، سأبدأ بدافع الجريمة))، وطلبت بعدها من المحقق الوحيد في جريمة قتل ويتني بونز أن يُدلي بشهادته، أعلن هذا بصوت رتيبٍ كيف أنّ دافِع الفضول سخيف للغاية، وقال ساخرا أنّه لا يعتقد أن الجريمة مجرد سوء تفاهم بين أطفال، ثم سرد تقريره حول الجريمة وقال أنَّها عجيبة فعلا فلا يوجد دليل على وجود مادةٍ استعملت لإزالة الحمض النووي، كما لا توجد بصمةٌ واحدة، ويوجد كذلك إطارُ النَّافذة المهشّمةُ الكبيرُ على الأرضية، والذي لا يمكن للقاتل أن يُدخِله عبر النَّافذة الضيِّقة.
قال المدَّعي توم بلهجة مُرهَقَة كما لو أنَّ الكلمات تزنُ أطنانًا على لسانه : ((هناك دافع قوي.. الانتقام.. جوناثان وجيمس كلاهما أبرَحَا جورج ضربًا قبل مقتلهما بساعة)).
ابتسمت آمي وردَّت : ((كان شاهدي يتحدّث عن ويتني لأنّ زميلك في الِادِّعاء مستر مايكل طلب للتو أن أَقْصِرَ دفاعي على الجريمة الأخيرة))، ازدادت ابتسامتها اتساعا وهي تميل برأسها وتقول : ((هل تواجه مشكلة في مواكبتنا حضرة المدعي توماس؟)).
حكَّ المدَّعي ما بين حاجبيه بِشدَّة وأجاب : ((لا، فقدت التركيز للحظة فقط)).

بعدها قادَت آمي المحاكمة إلى نهايتها، فيما ظل توم ومايكل يتعارضان في الأقوال، ويتلعثمان ويُقدِّمان أدلَّة وحججًا وصفها القاضي بأنها ضعيفة وواهية.

أخيرا رفع القاضي مطرقته عاليا وسادت لحظة صمت في المحكمة. سال العرق على خدِّ جورج وارتفعت تفاحته إلى أعلى ذقنه، ثم عادت مجدّدا إلى مكانها مع نزول المطرقة على اللوح الخشبي وارتفاع صوت القاضي الجهوري معلنا : ((أنا أجد جورج بريئا من التُّهم التي نُسبت له، ولكني أحذرك...))، قالها والتفت ناحية إيثان الذي اعتلت الصدمة مُحيّاهُ وعبثت بملامحه : ((إن اعتقلتَ أحدا آخر ورفعتَ ضده قضيَّةً من غير أن تأتي بأدلة جنائية دامغة فستجلس أنت في قفص الاتهام مكانه)).

حنى إيثان رقبته بجمود، وانصرف من غير أن يُودِّع المدعي حتّى، المدِّعي الذي رمقه جورج في حيرة وهو يبتعد بخطًى بطيئة خرقاء كما لو أنه يسير نائما.

الفصل الأخير : المرض في خيالي يتفاقم

حين دخل إيثان المكتب، كان أول ما وقع عليه ناظره الصورة في الكادر، التي تُمثِّل امرأة في العشرين ضاحكة الوجه، وإلى جوارها ابنها الصغير تقرص خدّه بين أُصبُعيها، ابنها الذي افترّ ثغره عن ابتسامة كشفت خمس أسنان صغيرة في بياض الحليب، وجوار الطفل الصغير ظهر وجه رجل حليق الذقن انفرج فمه عن ابتسامة هادئة، ولمعت عيناه ببريق غامض.

فكر: *على الأقل ليست عانسا أو مطلّقة كما كنت أظن.*

سمعها تقول : ((أوه... الضابط إيثان، بم يمكنني خدمتك؟ دعني أخمن... جئت لتخبرني لائما أني دافعت عن قاتل مختل، وأنه بمساعدتي أفلت من قبضتك)).

تلك اللهجة المستفزة لا زالت تحتفظ بها، ولكن... علي أن أهدأ، لن أحقق شيئا إن غضبتُ اليوم، ابتسم وقال : ((لا، لم آتِ لألومك بل قَدِمت أعقد صفقة... هل يمكنني...؟))، طلب الإذن مشيرا إلى الكرسي.

- ((أوه، نعم، تفضل بالجلوس))، سألتْ والفضول يلتمع في عينيها : ((إذن أيّة صفقة هذه؟)).

قال بلا مواربة : ((أنت تعرفين كما أعرف أنه قاتل))، تابع بسرعة قبل أن تقاطعه : ((ولم آت لألومك على دفاعك عنه، أنتِ محامية وهذا عملك)).

- ((لِمَ جئت إذن؟))، سألت وهي تضع ساقا على أخرى، وتميل على المكتب، وقد بدأ الاهتمام يلوح على ملامحها.

- ((كما قلت جئت لأعقد صفقة، هل يمكنني أن أسأل أين جورج الآن؟)).

- ((في بيته يتناول غداء شهيا ربما، احتفالا بكونه في المنزل لا في السجن)).

قال الضابط حائرا : ((ولكني ظننت أنه سيذهب إلى مصحة نفسية، لقد قال أنه يبحث عن مساعدة طبية نفسية في لقائنا)).

- ((آه... نعم، بخصوص ذلك، أمه رايتشل شكرتني وسألتني أن أوصيها بمصحة نفسية طيبة السمعة قائلة أنها تثق باختياري، فكّرتُ أن عليها أن تسأل الطبيب الذي فحصه بشأن هذا ولكن... ولكني بدلا من ذلك وعدتُها بأني سأبحث لها عن المصحة المناسبة... أوه، لماذا أحكي لك كل هذا؟... هيّا، أطلعني على صفقتك هذه فقد بدأ ضجري يتبادل مع فضولي المقاعد)).

ضجري يتبادل المقاعد مع فضولي!... أيُّ تعبير سخيف هذا؟!... لا يهم، إنها تملُّ وعلي أن أُسمِعها العرض : ((حسنا، بم أوْصَيتِها؟))، ثم أكمل قبل أن تقاطعه : ((وقبل أن ترُدّي " ما شأنك أنت؟ "، عليكِ أن تعلمي أن السؤال يتعلق بالصفقة)).

أجابت مبتسمة : ((كما توقعت، تريد أن تنال من جورج بأي طريقة)).

قال إيثان : ((إنه قاتل)).

ردَّت بلهجة قاطعة : ((لقد تمَّ إثبات براءته))، ثم سألت ساخرة : ((أم أنك تريد أن تراجع القاضي في حُكمه؟)).

- ((نحن لسنا في المحكمة الآن، لماذا تدافعين عنه، أيُعجبكِ في شيء؟)).

بهتها السؤال كما توقع وإن لم تمض بضع لحظات قبل أن تردَّ : ((أنا أحرص على تبريء مُوكِّليَّ حتى إن كانوا مجرمين في نظري، لن تجد محاميا يعترف بأن مُوكِّله مجرم قاتل ثم يدافع عنه في المحكمة، يمكنك أن تسجل هذا إن أردت)).

قال إيثان : ((لن أفعل فأنا خارج الخدمة))، كانت تلك كذبة فقد أخذ استراحة قصيرة فقط من غير علم رئيسه.

اعترفت آمي : ((صراحة، كتاباته ورسوماته الوحشية تبدو صنيع شيطان، والاستماع إلى اعترافه أشعرني بخوف لم يسبق لي أن جرّبته في حياتي، ولكنه - إن غضضنا النظر عن هذا - بدا كأيِّ طالب عادي، في الحقيقة إنه مسكين، فلم يبق له سوى أُمُّه تكافح وحدها لتُعِيله، وبعد هذا كله يتعرض للتنمر...

بالطبع سيتمنى الانتقام وبأبشع طريقة، الخلاصة أني لا أحبه ولا أكرهه، أعامله مثلما أعامل شخصا عاديا لا أعرفه)).

أوه... ولكني أكرهه يا سيدتي، وأبغضك أيضا لأن ذلك القاتل اللعين أفلت بسببك، لن أقول هذا بالطبع : ((إذن، بماذا أوصيت والدته؟)).

- ((بحثتُ في الإنترنت وسألتُ معارفي، وأعتقد أني وجدتُ ضالّتها، ستتصل بي بعد قليل وسأخبرها... مشفى " جورجس " النفسي الذي كان خيارها متوسط، ليس جيدا ولا سيئا، مشفى "ديري"[26] النفسي شنيع ككل شيء في تلك المدينة، أنا سأقترح عليها مستشفى "جون هوبكينز" أو عيادة "مايو" أو مركز "أوستين ريغز"، هذه هي أفضل المستشفيات التي تبحث وتعالج الأمراض العقلية، إن كان لمرض جورج علاجٌ فسيكون هناك)).

- ((هذا بالضبط ما لا يجب أن توصيها به))، قال إيثان وانتظر ردها.

سألته : ((لماذا؟!)).

- ((إنه قاتل وأنا أتيت لأنال منه، أتيت لأقتصَّ للضحايا، جوناثان وجيمس وعلى وجه الخصوص ويتني، عليه أن يلقى رعاية نفسية سيئة في مستشفيات شبيهة بِمعتقلات التعذيب الألمانية، هذه فكرتي... ألديك اقتراحات بمثل هذه المواصفات تُوصِينَ أمَّه بها)).

قهقهت آمي في وجهه قبل أن تسأله : ((وما الذي سيدفعني لقبول صفقتك؟... أين المقابل؟... دعني أُعِدْ على مسامعك ما قلتُ لِرايتشل حين قدِمَتْ إلي، أنا لا أفعل شيئا مجانا)).

- ((أترغبين في المال؟ يمكنني أن أدفع))، *ساقطة!* سبّها في سره، *تبيع أي شيء من أجل المال.*

- ((من تحسبني؟ غانية؟ لدي ما يكفي من المال لأنفق على زوجي حتى، أستطيع الآن أن أرسل ابني الحبيب إلى جامعة مرموقة، أستطيع أن آخذ عطلة سنة قبل أن أحتاج للنقود مجددا... كنت أحلُم بالشهرة وقد ذقتُ

---

[26] رواية "it" ترجمة نادر أسامة.

بفضلك قليلا منها، قدّمتها لي مجانا على طبق من ذهب، شكرا لك على هذا، وشكرا على قدومك، والآن اعذرني فلديّ حوالي خمسة مواعيد أخرى، وقتك انتهى)).

اللعنة! الفرصة تفلت، إنها لا تأبه بالمال فهي تتحمّم به كما يبدو!... قالت إنها ترغب في الشهرة، ماذا لو قدّمت لها المزيد منها؟

قامت تصرِفه فترجّاها بلهفة : ((استمعي لي... لقد جاءني أحدٌ ليلة أمس)).

- ((ولِمَ أهتم؟... قلتُ أن وقتك انتهى، أيتها السكرتيرة أدخلي الزبون الأول)).

- ((لقد اعترف.. اعترف))، قال بوجه محتقن ونبضه يتسارع، *علي أن أنتقم منه، علي أن أجعله يُجنُّ حتى يُحتجز في المصحة لوقت أطول، لا يمكنني أن أدعه يخرج، سيأتي لينتقم مني إن خرج، وسيكون ابناي في خطر.*

- ((يبدو أن كثيرا من الناس يعترفون لديك، ولا يدركون أنهم يرتكبون غلطة العمر)).

- ((إنه توم))، أعلنها فجذب انتباهها كما كان يأمل.

- ((توم...توماس المدَّعي الذي كان في المحكمة معنا؟!!!))، قالت وهي تتهاوى على المقعد من جديد.

صاح إيثان بلهفة : ((إنه هو.. هو بعينه، لقد تأثّر بالقضية أو باعتراف جورج المُسجّل وجاءني منهارا... قال... قال... قال أنه تخيّل وقتل)).

مصدومة شهقت آمي وقالت : ((مثل جورج؟!... أحقًّا أخبرك أنه يقتل الناس بخياله؟)).

ابتسم إيثان لنفسه: *لقد أوقعتُها*، استأنف : ((لقد سرد حكاية عن قتل أستاذيه اللّذَين كانا يُدرِّسانه في الثانوية، نَعْيُهما نُشر ليلة أول أمس)).

- ((هذا يفسّر لماذا كان شاردا في المحاكمة أمس... يا إلهي!... لقد كان يتلعثم، وقد استغربتُ هذا منه، فقد كان يتكلم بثقة في أول يوم)).

اتّسعت ابتسامة إيثان : ((إذن، ما رأيك بهذه الصفقة؟... توصية مقابل قضيّةٍ ستجذب الإعلام كما يجذب اللحم العفن الذباب!)).

امتعضت آمي وبدا كما لو أنها ستتقيأ : ((ما هذه الاستعارة المقززة؟!!
بِغضِّ النظر عن ذاك، أنا موافقة، ولكنك ستُغرَّم كما أنذرك القاضي)).
- ((تضحية صغيرة مقابل خدمة عظيمة، شكرا لكِ))، غادر المكتب مفكرا : *تلك الساقطة تعرف حقا كيف تساوم!*

وفي مكتبه استرخى على مقعده الدّوَّار، وكاد يركل بساقيه ليشرع في الدوران كما قد يفعل طفل صغير، لقد كان سعيدا مبتهجا. تحالف مع خصم ليتخلص من عدو لدود، *أكرهك يا جورج وأمثالك من الطلاب الذين لا يساعدون الناس على اجتياز السنوات معهم، لقد أعدتُ العام مرتين بسبب تخلي الأذكياء عني، كنت لأكون الآن رئيس هذا المقر لولا أمثالك، كيف تتجرأ على التفكير في الانتقام بعد ذلك؟!.. أتمنى أن تحظى برفقة جيدة هناك في المصحة، في الواقع قد يبدو السجن جنَّة بعد قضاء سنة مع المجانين والمختلّين، القتلة والمغتصبين، مشعلي الحرائق ومهُوسي السرقة، كلهم ستلقاهم هناك كما آمل...*

تمنى لو يقول له هذه الكلمات في وجهه، طالع في الجريدة التي أحضرها توم وتركها عنده، ذلك الأحمق لم يرتكب الجريمة وسيخرج بريئا، ولكنه يصدق حقا أنه فعلها، ما خطب الناس هذه الأيام يصدِّقون مثل هذا الهراء؟..
صحيح أن جورج قال نفس الشيء، ولكن ضحيَّته ويتني كانت قريبة منه، ويستطيع الوصول إليها، على عكس توم الذي يعتقد أنه نفّذ جريمة في حق أستاذين يفصل بينه وبينهما ما بين الشرق والغرب، هو في كاليفورنيا وهما في فلوريدا!

تخطّى ذلك العنوان ونزل بعينيه على الصفحة، **حريق، سرقة، جريمة قتل، حريق، سرقة، مقتل كريستان في طائرة، حري**... ماذا قرأت بحق...؟!
إنه كريستيان زميلي في الثانوية! ذلك السمين كان في حمّام طائرة حين دخل أحدهم عليه، وخنقه حتى الموت بينما كان يغسل يديه، وقد وُجدت آثار

أظافر في عنقه، والمحقق يأمل في أن البصمات ستوصله إلى هذا القاتل المهمل.

أظافر؟ ... حدّق إيثان في أظافره الطويلة الوسِخة بالتراب التي لم يُقلِّمها منذ فترة، انتابه الذعر وأخذ يفكر: *مصادفة، محض صدفة، ليس إلا، أنا لست مجنونا كجورج وتوم، أنا منطقي وهذه مصادفة لعينة، أنا لست قاتلا كجورج لا، لست كذلك... مهلا، ربما القتل بالخيال حقا ممكن وأنا قات... لا، لا، لا، هذا مستحيل، لستُ قاتلا، ليس أنا.*

****

حدَّق جورج في انعكاسه على المرآة، وتمعّن في الحلقات السوداء تحت عينيه، لم ينم ليلتين وهو على وشك أن يخِرَّ شاخِرًا في أيّة لحظة، كيف لا زال يمشي؟ لا يعرف، خطا إلى المرحاض وضغط السيفون، هذه ثالث مرة بعد مغيب الشمس يذهب فيها إلى الحمّام، لقد أصيب بإسهال شديد، وهو متيقِّنٌ من أن السبب هو الطعام الشنيع الذي قدّموه لهم أمس، تساءل في سِرِّه إن كان الطباخ مجنونا أيضا، ما هي المكونات المريعة التي خلطها ليطبخ حساء بمثل ذاك المذاق؟! لم يستطع جورج إبقائه في معدته، كان يتردَّدُ على الحمّام منذ الصباح، إمّا لِيُفرِغه من فمه وإمّا ليخرجه من الفتحة الأخرى، أو ليفعل الاثنين معا في نفس الوقت!... كان ذاك شنيعا للغاية، *لن آخذ ملعقة أخرى من ذلك الحساء حتى لو عنى ذلك موتي جوعا.*
صرخ مهتاجا : ((كل شيء شنيع في هذا المستشفى.. كل شيء... على عكس ما أخبرتنا به آمي تماما!)).
حين ودّعته أمُّه طمأنَتْه قائلة : ((قالت آمي أنه أفضل مشفى نفسي في العالم، وأخبرتني أنه رغم منظره الكئيب إلا أني يجب ألّا أنخدع بالمظاهر، قالت كذلك أنه إن كان للعلاج وجود فسيكون هنا، لا تقلق يا جورج فستتداوى وتتعافى وسآتي لزيارتك في نهاية الشهر، لديهم قانون صارم بخصوص الزيارات هنا، ولكني سآتي وأُخرجك ما إن تتعافى، وستتوسّلني

حينها لتبقى لأن المكان جَنّة على حدٍّ وصف آمي... أوه، يا لها من امرأة صالحة، لقد أنقذتك وأنقذت خالك قبلك، إنها تساعد الأبرياء... امرأة طيِّبة حقا)).

هذا ما قالته له أُمُّه، وهذا ما تبيَّن خطأ كل كلمة منه بعد أن دخل الشفى، الحراس هنا قساة يضربون المرضى بالعِصِيِّ لأدنى مخالفة، الطعام أسوأ مذاقا من حبوب الدواء، العلاج بالصعق الكهربائي أكثر شيوعا من جلسات الاستماع، وهو لم يقابل بعدُ طبيبا واحدا جيدا، فكلهم يعتقدون أنه وحش وقاتل سايكوباثي، يحسبونه واحدا من الآخرين...

من هم الآخرون؟... دعني أُعرِّفك عليهم...

سنبدأ ب" جيمس بروس وورنر "، رجلٌ ضخم الجثة، لطيف المعشر، ولكنك لن ترغب في تناول العشاء معه... لماذا؟... لأنه سيترك الطعام يبرُد، ويلتهم بشهية المناديل والملاعق الصغيرة وربما يبلع السكاكين نفسها إن لم تمنعه!... أخبرَ جيمس جورج حين جلس قبالته على الطاولة ذات مرة أن الطباشير طعمها لذيذ ثم أمام عينيه المشمئزتين طفق يأكل تمرا قدّموه لهم – وهي المرة الوحيدة التي قدّموا فيها طعاما جيدا – ويبتلع النواة مع التمر دون اكتراث، فجأة اعترف له وفي عينه نظرة مجنونة : ((أوه، هذا التمر شهي حقا، خصوصا النواة والدود... كم هو طيب مذاقها!)).
لم يحتمل جورج أكثر، ولولا أن الرجل أضخم منه حجما بخمس مرات لَطوّح بصحن التمر بعيدا، جيمس يُذكِّره بالأطفال الصغار الذين يأكلون أيَّ شيء تقع عليه أيديهم، طفل في الأربعين من عمره، هذا ما كان يراه فيه.[27]
نظر جورج حينها في كل اتجاه بعصبية، كل الأماكن ممتلئة، أدرك هذا بعد أن ألقى نظرة على الطاولات الصغيرة التي يجعلهم الحراس يجلسون إليها

---

[27] هذا الأخ مصاب بمرض نفسي يدعى pica ، هذا المرض يجعل المصاب يأكل موادا غير غذائية مثل الطباشير والورق وغيرها.

اثنين اثنين، كل واحد قبالة الآخر كما لو أنهم في موعد غرامي، وهذا ما يثير غيظه في الأمر، *لابد أن الحراس والأطباء والممرضات يسخرون منا*، كانت طاولة واحدة فيها مقعد شاغر، ألا وهي طاولة إلياس... من هو إلياس؟... دعونا نتعرّف إليه...

إلياس هو الأقرب سِنًّا لِجورج، لن يخبرك بعمره ولكنك تستطيع تخمينه... في العشرين على الأكثر، خامل النظرة كحيوان الكسلان، لاحظ جورج حين خرج أول مرة إلى القاعة التي فيها يتناولون وجباتهم ويشاهدون في التلفاز برامج مملة سخيفة أن كل المرضى الآخرين يتجنبون طاولته فجلس هو في ذلك المقعد الشاغر وقال : ((مرحبا... أنا جورج، جئت حديثًا هنا، وأنت؟)). قرّب إلياس نحوه ورقة مكتوب فيها اسمه بخط أنيق، استغرب جورج استعماله للكتابة، كان يمكنه قول اسمه ببساطة، قال متجاهلا ذلك : ((سُررت للقائك إلياس، أترى؟... إنهم جميعا رجال، أنت الأقرب إليَّ في السن))، انتظر تعقيبا ولكنه لم يحصل عليه فتابع : ((الغرف قذرة هنا، أليس كذلك؟ فراش سريري عليه بقع أكثر من جلد أمهق، المكان ليس بالنظافة التي توقعته بها، ليس هذا فقط فهم لم يزورونا لمدة أربع ساعات، ولولا الأوراق الكثيرة والأقلام التي جلبتها معي لأُصبتُ بجنون... أعني أني لم أعتد البقاء وحيدا طويلا هكذا رغم أني انطوائي))، انتظر تعليقا ولكن بلا طائل، فأكمل مفكرا في أنّ إلياس ربما صموت خجول، ((ثم هل سمعتَ أحدهم يصرخ؟... لقد سمعتُ صراخا عاليًا... "النمل يلدغني... النمل يعضني... أبعدوه... امنعوه... اقتلوه "من يصرخ هكذا؟ أتعرفه؟ كان أمرا غريبا ومخيفا صدمني حقا، حتى أنَّ يدي حين كنت أكتبُ اهتزَّت وشطبتُ بلا شعور على كامل الورقة)).

هذه المرة أشار إلياس بذراعه إلى كهلٍ أصلع في السِّتين، كان نائما على الطّاولة أمام رجل في الثلاثين كثُّ اللحية يحدق في صمت إلى كوب بلاستيكي.

سأل جورج : ((ماذا بشأنه؟))، وهنا بدأ يحرك إلاياس يديه في أشكال مألوفة، *لغة الإشارة*، فكَّر جورج : *أنا أكلم أبكما، لهذا لم يردَّ علي.*

أخرج سيالته التي هرّبها من الغرفة وخطّ على الورقة : ((هل أنت أبكم؟)).
قرأ إلاياس المكتوب وأومأ برأسه ثم أشار طالبا القلم فقدّمه له، سَطَرَ إلاياس شيئا بسرعة، ثم دفع القصاصة له وحالما قرأها جورج كاد يسقط من مقعده...

لا أقدر على الحديث لأنه ليس لدي لسان!

((ليس لديك لسان!!!))، صاح بها جورج ورفع رأسه ليُقابله فم إلاياس الذي فغره على اتساعه، وحينها رأى...
((لديك لسان! لماذا تكذب؟... أهذا مقلب؟))، سأل وهو يفكر فيما إن كان إلاياس يُعابثه، هزَّ إلاياس رأسه بالنّفي، وكتب بيدٍ ترتعش هذه المرة، ثم دفع الورقة إليه مجددا.
قرأ جورج خطّه المتعرِّج : ((ليس لدي لسان، أبي قطعه بسِكِّينٍ وأجبرني على ابتلاعه!!!)). ماذا بحق...؟!! حدّق في إلاياس الذي كان يبكي بحرقة الآن، *ولكن، لديه لسان، لقد رأيته للتو... كيف أُخبر هذا المجنون بأنَّ ما يقوله وهم لا حقيقة؟... لسانه في فمه فكيف لا يشعر به؟!... لدي فكرة، س...*

((هاي، افتح فمك، أجل، هكذا، الآن ارفع يدك... نعم، هناك بالضبط... هل تحسُّ به؟.. ذلك الشيء المبلَّل باللعاب... تُحسُّ به إذًا؟))، *جيد، إنه ليس مشلول اليد... مشلول اليد؟!...* كاد يقهقه في سره، لو كان مشلولا لما رفع يده أصلا، تابع جورج مبتسما : ((حسنا، ذلك الشيء الذي تلمسه هو... لسانك)).

ما إن قالها جورج حتى واجه أكثر المواقف جنونا في حياته، صاح إلاياس : ((**لا!**)).

رفع السيّالة إلى فمه وأخرج لسانه، ثم أمسكه بيده الحرة وغرس السيالة بعمق فيه، لمح جورج للحظةٍ أحمر الدم وأزرق الحبر يمتزجان، قبل أن ينتزع إلاياس القلم ويصرخ لاثغًا : ((أنث أعدث إليَّ لِثاني!!!)).
سدّد السيالة إلى عنقه وكاد يطعنه لولا أن حارسا سحب إلاياس من الخلف، مصدوما، خائفا، حائرا تراجع جورج وهو يرى نظرة المقت الخالصة التي كلّلت عيني إلاياس!

ما خطبه؟!... ألا يريد أن يكون له لسان؟!... سأل نفسه فردَّ عليه جيمس الذي تقدم متجاوزا المعمعة التي كانت على أشدُّها في القاعة، كما لو أنّ صرخة إلاياس كانت إشارة للمجانين كي يقلبوا كل ما في القاعة رأسا على عقب، قفز أحدهم على الأرض وبدأ يسبح!... فيما اعتلى مخبول آخر طويل الشعر طاولة وقال : ((مايكل جاكسون يقدم لكم هذا اليوم أغنية "ثريلر"))، مال بعدها على ميكرفون خيالي وأخذ يغني، نصف المخابيل من شاكلة هذين شرع يقوم بتصرفات غريبة، ونصفهم الآخر جلس ساكنا أو نام ببساطة أو استغرق في مشاهدة البرنامج على التلفاز ولم يلاحظ شيئا.

قال جيمس : ((ما كان عليك أن تخبر إلاياس أنه يمتلك لسانا، إنه يبغض ذلك كما أبغض أنا أن يخبرني أحدهم أنّ الطعام الذي آكله مقزز)).
ولم يمض وقت طويل حتى أدرك جورج معنى قوله. جلس في اليوم التالي مع جاك... من هو جاك؟...

جاك روبنسون سيخبرك بكل جدِّيّة أنّ حرف A لونه أحمر، وأن الرقم 28 يمتاز بصبغة من الأخضر، سيخبرك أيضا أنه حين يسمع ريتشارد يردد أغاني مايكل جاكسون فإنه يرى خلفية رمادية غامقة، جاك يتمتع بال.."سينيستيزيا"[28]، امتزاج الحواس المختلفة مع بعضها، قال جاك أنه يتمتع بهذه القدرة الآن بعد أن كانت تدفعه في السابق إلى الجنون، أخبره

[28] هذا المرض النفسي يسمى synaesthesia، تمازج الحواس بحيث ترى أشكالا حين تستمع إلى الموسيقى، أو تسمع حروفا فترى ألوانا.

جاك عن ريتشارد وكيف يخال نفسه مايكل جاكسون العائد إلى الحياة في جسد آخر، قال جاك معلقا على ذلك : ((لو عاد مايكل جاكسون إلى الحياة لكتب أغانٍ جديدة بدل تكرار القديمة، ولكني أعترف... ريتشارد مُسَلٍّ حقا، فهو النوع الوحيد من الترفيه الذي ستجده هنا)).

بعد يومين أعاد الحراس لجورج أوراقه وقلمه، طلب جايسون منه بعدها أن يقرأها عليهم، من هو جايسون؟... هاكم سيرته الذاتية مختصرةً...

جايسون وُلد في تاريخ يجهله، في زقاق يجهله، في مدينة يجهلها، ودخل دارا للأيتام يجهلها، وتربّى على أيدي عجائز يجهلهن، بعد أن بلغ الرشد وغادر الدار عمل في محل صغير طرده منه صاحبه - الذي يجهله - لأنه لا يكف عن نسيان أسماء السلع وأسعارها، بعدها سرقه لصٌّ يجهل إن كان رجلا أو امرأة أو طفلا، ولا بد أنه لحقه وقتله لأنه هنا بسبب جريمة قتل، ولولا أنّ رفاقه لا يكُفُّون عن مناداته باسمه وتذكيره بسبب وجوده هنا لنسي ذلك أيضا، في الحقيقة جايسون حالة نادرة من فقدان الذاكرة الكلي، وهو لا يزال ينسى ولا يذكر إلى الآن، ولكنه مؤخَّرًا بدأ يتحسّن، والدليل أنه يذكُر اسمه واسم رفيقه ريتشارد، والأوراق التي يكتب فيها جورج، لقد بدأ يتذكّر ما يفعله الآن ولكنه ما زال عاجزا عن استرجاع ذكرياته السّابقة لدخوله المصحَّة.
ابتسم له جايسون وقال : ((أتعرف هوايتي الجديدة؟... الإصغاء إلى المبدعين، أريد أن أسمع أغاني ريتشارد، وأسمعك تُلقي شِعرك، وأسمع كل من له إبداع هنا... لا يوجد مكان كئيب مقبض أكثر من هذا، حتى المقبرة فيها أزهار على الشواهد، أما هنا فلن تجد ولو بتلة واحدة...علينا... علينا أن نظّل جميعا مبتهجين سعداء وإلا فس... فسنموت!)).
اقشعّر جورج وهو يسأل نفسه : *أيفكر في الانتحار؟!...* على عكس باقي المصحات النفسية، هذه المصحة توفر وسائل الانتحار، وتضمن لك أنك ما إن تشعر بالحاجة إلى فعلها سيكون بإمكانك القيام بها، قال له جيمس ذات

مرة أنَّ هناك بابين لمغادرة هذا المصح، الأمامي نحو العالم والخلفي نحو العالم الآخر!... قال له أن أغلب المرضى يفضلون استعمال الباب الخلفي!!!

ليمنع حدوث هذا أسرع جورج يقول : ((حسنا، أعدك أني سأُحضر أوراقي الليلة، أُقسِم لك أني سأفعل، ولكن لا أظن أنها ستروقك أو الآخرين)).
سأل جايسون وقد اختفت ابتسامته : ((لماذا تظن هذا؟)).
- ((كتاباتي فيها عنف... الكثير منه صراحة)).
ضحك جايسون وهو يضرب على فخذه وقال : ((الكثير من العنف... هاها... ولماذا تحسبنا هنا؟! أغلبنا قام بالكثير من العنف... جيمس قتل زميله حين حاول أن يمنعه من أكل بُرغي!!!...تحسِبه سيشمئز من شعرك؟ أتمزح معي؟)).
مندهشا قال جورج : ((أنت تتذكر؟)).
أجابه جايسون : ((أخبرني هو منذ عشر دقائق أو خمسة، وأظن أنه قال أيضا بضيق " لقد سألتني هذا مئة مرة! " أو لعله قال ألف، لا أذكر بالضبط)).
غادرت الدهشة جورج فورًا وفكَّر : *أنا سألني عن ماذا أكتب عشر مرات حتى الآن.*

وحانت الليلة، ذاتُ الليلة التي دخل فيها جورج الحمّام يعاني الإسهال وصرخ : ((كل شيء شنيع!)).

بعد العشاء مباشرة وقف جورج على مقعده وأعلن جايسون : ((يا جماعة، جورج لديه ما يقرأه علينا... أخبرني أنه يكتب نوعا من.. من.. لا أذكر...)).
همس جورج : ((الشعر)).
- ((أوه... الشِّعر... شكرا لتذكيري، أرجو منكم أن تستمعوا وتستمتعوا)).
جلس بعدها فاندفع جورج يقرأ عليهم : ((احمم... القصيدة الأولى بعنوان : **طبختي!** أقلي البيض على رأس المتنمر، أغلي الماء على صدره المتقطِّر،

بالدماء تجري على جلد ذاك المتكبر، الذي -قبل حرقه- شوّهت وجهه بمطرقة ال...)).

لم يكمل جورج لأن ريتشارد أسقطه بغتة واعتلى طاولته وهتف : ((تبا للشِّعر، إنه يجعلني **أتثاءب**، أغنية مايكل جاكسون ستجعل كل واحد منكم **يتواثب**، والآن من منكم يرغب في سماع أغنية " تذكر حينما"[29]؟... هيا، اهتفوا لي يا جماعة!)).

كان جايسون ينهض قائلا : ((هذا ليس لائقا ريتش...))،

حين صرخ ثلاثون رجلا في الفسحة بالهتاف : ((مايكل!... مايكل!..)).

دار جايسون حول الطاولة إلى جورج واعتذر، فدفعه هذا الأخير صائحا وهو يجمع أوراقه المتناثرة على الأرض : ((قلتُ لك أنه لن يعجبهم، قلتُ لك)). جمع جميع أوراقه الثلاثة عشر إلا واحدة، وحين التفت إلى جيمس رآه يمسكها فتقدّم نحوه ليأخذها، حدّق فيه جيمس وقال : ((أتعلم؟ لقد أعجبتني)).

- ((حقا؟))، قال جورج مفكرا، جيمس وجايسون أُعجبا بقصيدتي، عليَّ أن أكون شاكرا لهذا القدر و...

ببطء شديد قال جيمس بينما التمعت في عينيه نظرة مجنونة: ((أجل، إنها... حلوة! لذيذة!))، ثم حشا الورقة داخل فمه وطفق يمضغها!

وثب إليه جورج وسحبها من فمه صارخا : ((أعدها إلي أيها الماعز!)).

سمع صوت التمزق يخرق طبلة أذنه، لقد التهم ما جهدت ساعة في كتابته، جيمس المختلُّ أكل ما كتبته... سمع القهقهات تحيطه وشعر بها تُطوِّقُه، استدار فرأى ريتشارد يصيح مغنيًّا وهو يهُزُّ ميكرفونه المتَوهَّم أماما وخلفا، ويحرِّك رأسه ليطير شعره الطويل يمينا ويسارا، التفت عنه فلمح جيمس يبلع الورقة ثم يصرخ طالبا أخرى وهو يمد ذراعه : ((أوراقك لذيذة... أعطني

---

[29] أغنية مايكل جاكسون " remember the time ".

أوراقك... هيا، أعطنيها ولا تأكلها لوحدك!)).
ركض بعيدا عنه فكاد يتعثّر في الرجل الذي كان يسبح على الأرضية، نظر له من أسفل ثم قال : ((واو! إنك تمشي على الماء! أأنت المسيح؟!)).

إنهم مجانين! جميعهم معاتيه مخابيل... وأنا لست مثلهم... لست كذلك!
تبِعَته الضحكات حين هرع إلى الحمّام بعد أن داهمه الإسهال، وعقب قضائه حاجته باكيًا كان قد قرَّر، *المحامية اللعينة كذبت علي، ليس هناك علاج لي في هذه المصحة النفسية، الضابط الوغد خان ثقتي، لا بد أنها فعلت المثل، وهؤلاء المختلُّون عقليًّا، كم أبغضهم...*

" إيشير" ذلك الهندي يصيح دائما ليلا متوهِّمًا أنَّ النمل يهاجمه قارصًا جسده في كل موضع، جايسون لا ينفكُّ يكرِّر نفس الأسئلة كل يوم كما أنه هو من دعاني إلى قراءة أوراقي، لا بد أنه يهزأ بي، جيمس ذلك البعير أكل شِعري، الحارس القصير يضربني بالعصا دون سبب على الإطلاق، والحارس الطويل يضحك عليّ دائما، إليزابيث تعتقد أنها تموت على مهل، وأنَّ جسدها يتفتَّت!... تخبرني دائما أن أحمل أصابعها الساقطة من على الأرض كما أنها تسألني إن كنت قد رأيت مقلة عينها في مكان ما![30]... آرلوند يخال نفسه ذئبًا ويعضُّني كل يوم،[31] مايكل يظنُّ أنّ أعضائه التناسلية تتقلّص ويريد مني أن أفحصها وأُطمئنه!!![32]

لا أستطيع تحمُّل المزيد... لا أستطيع البقاء مع هؤلاء المجانين لوقت أطول، كما أني لم ولن أستطيع التخلص من هذه الأفكار السّوداويّة...

أمي كذبت، آمي كذبت، جايسون كذب، كلهم كذَّابون خونة، كلهم يسخرون مني ويستهزؤون بي وأنا لا أقدر على التحمل أكثر... عليّ أن... علي أن...

---

[30] مرض نفسي نادر اسمه (cotard's syndrome) يجعل المرء يتوهم أنه ميت أو غير موجود أو أنه جثة تتحلل.

[31] وهو مرض نفسي يخال المصاب به نفسه ذئبا.

[32] وهو مرض يجعل المصاب به يعتقد أن أعضائه التناسلية تتقلص.

علي أن أقتلهم، أجل، سأفعلها فهم يستحقون، سأقتلهم جميعا...
جميعا!!!
- ((مهلا، ماذا عن أمك؟ هل... هل... هل ستقتلها أيضا؟)).
- ((أمي؟!))، أذهله ذلك الإدراك المفاجئ، لقد قرر للتو أن يقتل جميع من له علاقة بمأساته بمن فيهم والدته، توقف لحظة ليمتصَّ صدمة اكتشاف الجنون الذي قد أوغل في أدغاله، وغاص لُجّة في محيطه، وطار في حلكة سمائه، يا لهذا التغيير الهائل الذي طرأ عليه منذ أطفأ تلك الشمعة على كعكة الفراولة مكافأة أمه له! حتى أنه يكاد لا يتعرّف نفسه، هل كان ذلك ماضيه حقا؟ أهو نفس الولد الذي كان فخورا بعلامته ذلك اليوم؟
- ((إنها ليست أمَّك يا هذا، إنها مجرد زميلة كنت تتشارك معها الشِّقَّة، سنحت لها فرصة التخلص منك فانتهزتها، وألقتك هنا في مستشفى المجاذيب، كما تتخلصَّ من كيس القمامة في مكب نفايات)).
- ((ولكنها أمي، أمي التي حملتني في بطنها تسعة أشهر، وأرضعتني، وربتني، أمي التي هَدْهَدَت مهدي، وهوَّدت لي لأنام أنا الذي كنت أحرمها ببكائي من غفوة بسيطة استحقّتها بعد كل الإرهاق الذي نالها نهارا من أعمال البيت، أمي التي علَّمتني القراءة والكتابة، وكانت تحكي لي القصص، وتتبسّم وهي تشرح لي كل كلمة في كل سطر في كل فقرة منها، وتكرِّر على مسامعي إذا ما نسيت معانيها، أمي التي كانت لا تبخل علي بالجواب حين أُلِحُّ أنا في السؤال، أمي التي...)).
- ((أمُّك التي زجَّت بك في الحبس مع المعاتيه والمخابيل، وزعمت أن هذه أفضل مصحة في العالم، أفِق إلى الواقع يا هذا، هل نسيت جين إنجلش؟ هل نسيت فلسفتك التي آمنت بها لأنها أرضت عقلك المنطقي؟ أتظن أنَّ تلك السَّافلة الحقيرة لو رجعت إلى الماضي الآن ستختار الحمل ثانية وإنجابك؟ قطعا، لا، بل ستهرع إلى أقرب مشفى لتطرح فيه جثتك الجهيضة وترتاح من مسؤولية تربية من سيصير مختلا عقليا يعتقد أنه يقتل الناس

في أحلام يقظته، أُراهنك أنها في البيت الآن، تواعد أحد أساتذتك في الثانوية، آملة أن يكون قد أحضر معه خاتم الخطبة، **أعدِمها**، **اقتلها**، **اذبحها**، إن هي إلا زوجةٌ عقيمةُ الأحلامِ، عديمةُ الأهداف، بقرةٌ خَنُوعٌ، رضت بالبيت والحمل وسلطة الرجل ولم تعمل حتى اضطرت بعد موت أبي، وحتى حين فعلت ظلت تتحسّر وتتمنى لو تعود ربة بيت مجددا، وظلت قنوعا لا تطمح إلى الترقية للمناصب الإدارية لأنها تعتقد أن الأساتذة الرجال أكثر كفاءة وقدرة منها على القيادة، عليها اللعنة من امرأة خائبة فاشلة، إنها ليست أمي، إنها أَمَة)).

- ((أجل، أجل، سأفعل، سأقتلهم جميعا، فكلهم يحملون نفس القدر من الوزر، ويستحقون لهذا نفس القدر من العذاب)).

دق على المرآة القذرة بقبضته حانقا، وأغمض عينيه، ثم شرع يتخيَّل...

تخيّل وجه جايسون الذي وخط لحيته الشِّيب، وملأت وجهه التجاعيد، تخيّل جبهته التي قسمتها التجاعيد إلى ثلاثة، ثم تصوّر تلك الشاشة المستطيلة تظهرُ وسطها، تلك الشاشة تحمل الرقم 10، وها هو الرقم ينقلب إلى 9، ثم يتحول إلى 8 ... إنه عدّاد تنازلي، عدّاد للقنبلة التي ستنفجر داخل جمجمة جايسون!...

يلاحظ جيمس الواقف جواره هذا فيخبره حائرًا، فيتلمَّس جايسون جبينه في دهشة، قبل أن تتناوب المشاعر على وجهه... 5 ... حيرة... 4 ... فهم... 3... رعب... 2 ... يقين بالموت... 1 ... بووووم!

ينفجر رأسه ليتمزَّق اللحم والجلد، ويتشظّى العظْم، ويتناثر كل هذا في نافورة حمراء من الدم وقطع الدماغ، يصيب هذا المزيج المريع جيمس وغيره من المجانين الذين لم يحترموا مسافة الأمان فيغسل وجوههم ويبلِّلها، يدخل الدم عيني جيمس ويُعميه فيبدأ بالصراخ، قبل أن يدرك والدَّمُ يسيل على شفتيه... لذيذ!

- ((جايسون مات، الدور على جيمس الآن)).

جيمس يجثو ليجثم على جثة جايسون، ويبدأ بالتهامها قبل أن يأتي الحارس القصير والطويل ويبعدوه عنه، بينما يقبضون على ذراعيه، يطلق جيمس صيحة ألم رهيبة، حين تبدأ قدماه في التباعد عن بعضهما، كما لو أن كل واحدة تريد أن تذهب في حال سبيلها، ذراعاه ترتفعان فجأة وتبدآن في التمزق تحت تأثير قوةٍ تدفعهما بعيدا عن الجسد، تلك القوة المغناطيسية التي تصوَّرها جورج داخله، تنبع من مغناطيسين متنافرين داخل جسده، أحدهما في النصف الأيمن، والآخر في الأيسر، وكنتيجة للتنافر يتمزَّق جيمس ببطء إلى نصفين!
تتمدد جبهته إلى أقصى اتساع، وتتباعد عيناه، ويتسطّح أنفه، ويتضّخم رأسه، تفترق عضلتا صدره وتنفصلان.
يصرخ جيمس هلعا : ((ما الذي يحدُث؟!.. آعع!.. ما هذا بحق اللعنة؟!)).

بعد برهة من العذاب الجحيمي يتقطّع جلده كرغيف خبز تقسمه كفَّان، فيبدو لحمه من تحت الجلد المتهتك، ويتدفق دمه مهراقا مُحدِّدا محور تناظر جسمه، قبل أن يتمزّق جسده كليّا بعد صرخة عذاب طويلة، تسقط الأمعاء والمعدة والكبد والبنكرياس والطحال كومةً على الأرضية بين نصفي جسد جيمس المتماثلين...

- ((جيمس مات، الدور على الحارس القصير)).

يبتعد الحارس عن جثة جيمس الممزقة، وفي عينيه نظرة رعب مطلق إذ يرمق كل ذلك الدم، يتراجع على ساقين تهتزان تحته كقوائم طاولة خلال زلزال، وعقله يصرخ فيه : اهرب، اهرب، اهرب بحق اللعنة، لا تقف هكذا، عزرائيل يُعمِل منجله في الرؤوس، وأنت سُنبلة وسط حقله، اخرج من هذا المكان اللعين فقد تحوّل إلى مذبح فيه القرابين تُقَدَّم للشياطين، هيّا، اهرب قبل أن يفوت الأوا...

وتُظلِمُ الغرفة، يُدرك فجأة أنَّ عينيه تلامسان الأرضية فيطبقهما بشدة، ثم يشعر بأنه يرتفع، يشمُّ رائحة كريهة خانقة فيمدُّ يده ليغلق أنفه قبل أن يدرك أن...

أنفه اختفى...!
يبدأ في الصراخ، وهو ما زال يُحلِّق، بوتيرة بطيئة نحو سقف القاعة العالي، قبل أن يدرك أن...
لسانه يلعق سُرّته!...

وفجأة يأتيه الفهم، وجهه صار مُسطَّحا خاليا كصفحة بيضاء، عيناه وأنفه وأذناه وفمه انتقلوا إلى مواضع أخرى من بدنه!...
لهذا يرى الأرضية والطاولات والكراسي والمرضى ينخفضون إلى أسفل
في مشهد رأسي، إنه عاجز عن رفع عينيه لأعلى، ها هو حذائه الذي خلعه قبل دخول القاعة ملقى هناك جوار الباب، وذلك يعني أن هذا ليس كابوسا، فهو لا يذكر أنه رأى حذاءً في أحلامه من قبل، إنها الحقيقة، إنه الواقع، وهو حقا يرتفع في الهواء، إنه يطير! كيف لهذا أن يحدث؟ !شعوذة أم معجزة؟!...

لا يزال يشتم الرائحة الكريهة الخانقة، رائحة العرق البغيضة، يشعر بألف شعيرة تدغدغ أنفه، فجأة وجده، فجأة حدد موضع كل عضو، فجأة أدرك أنَّ...
أنفه انتقل إلى...
إبطه الذي لم يحلقه منذ أسابيع!
عيناه انتقلتا إلى...
أخمص قدميه!
فمه انتقل إلى...
بطنه!
ولكن أين أذناه؟!

لا يسمح له الوقت بالإجابة لأنه فجأة يهوي من عِلٍّ بسرعة نيزك، يصفع الهواء عينيه بشدة، ويُسيلُ مطرا من الدموع يُبلِّلُ أخمصه، يرى بهلع الأرضية الرُّخامية تندفع لأعلى نحوه، يحاول ثني رِجليه ولكن الأرض تسبقه، وترتطم بساقيه مهشمة إياهما تماما، ولكن الكسور لم تكن كل ما يعوي ألما بسببه بل...
كانت عيناه اللَّتان انْسَحَقَتا تماما تحت وطأة قدميه... يزحف على الأرض معميًّا عاجزا كالقطط الوليدة، يشعر بحاجة ملحة إلى البكاء، ولكن كيف سيبكي من غير عينين؟!... تعود الرائحة الخانقة لتُشَكِّل مع الظلام المطبق جحيما لا يطاق، يصرخ من تحت قميصه : ((اقتلوني... أرجوكم اقتلوني!)).

قبل أن يخترق سمعه فجأة أغنية لمايكل جاكسون، مهلا، ما هذا؟ لماذا أسمع هذه الأغنية؟! أين أُذُنَا..؟ آه، يا للهول! هذا مستحيل... إنهما عند ريتشارد!..
يتوسل منتحبا وشهقات الألم وأنّاته تقطع كلماته : ((ريتشارد، أعِدهما!... أرجعهما أرجوك!)).
ولكن الغناء لا يتوقف بل يتعالى متهدِّجا، ريتشارد مايكل جاكسون جاء يُشَنِّفُ مسامعنا لهذه المناسبة السعيدة، الحارس القصير كسر ساقيه وفقأ عينيه، هنِّؤوه وباركوا له...

فجأة يشعر بأحدهم يمرِّرُ شيئا على وجهه، شيئا أقرب إلى... أقرب إلى سيَّالة!... أحدهم يرسم على وجهه!... أحد أولئك المجانين، سيالة؟ أهو جورج؟ ذلك المختلُّ الذي كنتُ أبرحه ضربا، ما إن يشرع في شتمه بأقذع السِّباب حتى يرتفع عن الأرض، *لا، ليس مجددا، لا*، ولكنّه يتوقف على مسافة متر من الأرض فقط، وينقلب رأسا على عقب في الهواء كخفاش نائم، فجأة تهوي ضربة على وجهه، أو ما كان وجهه بالأحرى، فالوجه دون أعضاء ليس وجها، يصيح أحدهم : ((پينياتا!))، تخترق هذه الكلمة سمعه بين

كلمات أغنية ريتشارد فيميزها، يتعالى الهتاف إذ يردِّده المجانين الآخرون...
- ((پينياتا... پينياتا... پينياتا...)).
يصيح مذعورا في الظلام والرائحة الخانقة تلُفُّه كالكفن فيما صدى " بينياتا " يكاد يخرق أذنه: ((لا... جوردان، رفيقي، أبعدهم!... أبعدهم قبل أن يضربو...)).

تقطع عليه الضربات كلامه، قبضات وأقدام تنهال على رأسه من كل الجهات، يسمع ريتشي يقول : ((خُذ هذه جزاء على تعذيبنا، وهذه لادِّعائِك أنَّ مايكل جاكسون مغنٍّ سيء! وهذه لأنك...)).

تتهاوى عليه ضربات أشدُّ من سابقتها... عصا؟ عصاه! إنهم يضربونه بها، يصرخ داخل قميصه الخانق متوسلا الرحمة، قبل أن يقع أرضا فجأة فتفرقع الألعاب النارية في كسور ساقيه، أطلقوا المفرقعات بهذه المناسبة السعيدة، أطلقوها فالحارس كسر رجليه وفقأ عينيه!!!

يسمع أصوات الحراس، وأصوات المجانين إذ يفِرُّون، ينحني عليه ريتشارد ويقول : ((الحراس أتوا وأذناك القبيحتان تزعجانني بتدليهما من ذقني مثل ذلك الشيء أسفل منقار الدجاجة، لا أعرف اسمه... اللعنة، إنهما حقا مزعجتان، لابد لي أن أقطعهما لاحقا... وداعا)).
يقولها فيصيح الحارس : ((لا، اقتلني، اقتلني يا ريتشارد، أتوسل إلي...)).
يقطع عبارته حين يختنق تحت وطأة القدم التي هوت على عنقه مهشمة حنجرته، يختنق بينما الرائحة الخانقة تنسحب، وبينما هو في حشرجة الموت يسمع ريتشارد يهتف : ((مايكل جاكسون أفضل مغنٍّ في التاريخ!... أووه، يا لهاتين الأذنين اللعينتين، سأقطعهما، قطعًا سأفعل، أجل، وأرسلهما بعد ذلك لحبيبتي بالبريد!... مثل ذلك... ذلك الرسام المجنون هاها)).[33]

- ((مات الحارس القصير، الدور على الطويل!)).

---

[33] لستُ واثقا لأني لم أسأله، ولكن تخميني أنه يقصد الرسام فان جوخ.

تخيله جورج يجري هاربا، وقلبه ينبض بجنون يماثل ما في المرضى الذين يعُسُّهم، تخيله يجري عبر الممرات عابرا بالزنازين وهو لا يفهم، *كيف اختفت عينا زميله وأذناه وأنفه وفمه وتركوا وجها خاليا من أي أعضاء؟!.. كيف طار صاحبه إلى السقف قبل أن يهوي على قدميه فيكسرهما؟!!*

كان قد بدأ يبكي صاحبه حين انتابته ضحكة فجائية، تخيّله جورج يقول لنفسه : *لماذا أضحك؟!... أنا أشعر بالحزن وليس الفرحة، وليست بي أية رغبة في الضحك الآن فلماذا؟!...*

كانت تلك الضحكة الأولى الفاتحة لسلسلة من الضحكات تفجرّت من بين شفتيه دون رغبة منه، أمسك فمه محاولا إيقافها ولكنه لم يستطع، اتّكأ إلى جدارٍ وواصل ضحكه الهستيري، وفيما كانت القهقهات تتفجر من فمه كانت الدموع تفيض من عينيه، دموع الألم والحيرة والرعب، خرج طبيب من غرفة قريبة وسأله : ((ماذا يحدث؟... لماذا تضحك؟!)).

أشار بذراعه إلى مدخل القاعة، وانفجر ضاحكا أمام نظرات الطبيب المصدومة، *لا، علي أن أتوقف عن الضحك وإلا سأختنق*، ولكنه لم يتوقف بل اتَّسع فمه إلى أقصى حدٍّ، وأطلق سلسلة أخرى من الضحكات الجنونية، أوجعه بطنه وحاول التوقف لكي يلتقط أنفاسه ولكنه لم يقدر على ذلك، تراجع الطبيب في خوف وسأله : ((ما بك؟!... أجُنِنت؟! ما الذي أصابك بحق...؟!)).

وتحول سؤاله إلى صراخ حين اتّسع فم الحارس أكثر حتى... تمزَّق جلده، وتحطم فكه مصدرا طقطقة رافقت ضحكة أخيرة صاخبة، فكر جورج مبتسما في رِضى وهو يتخيل : *هكذا لن تضحك أبدا علي مجددا.*

- ((الحارس الطويل مات، الدور على إليزابيث الزومبي!))

إليزابيث في الركن تشاهد المجانين يتناوبون على ضرب رأس الحارس القصير، تفكر في كآبة : *أنا أموت... أمس سقطت مقلتي ولم يجدها ذلك الصبي حتى الآن، أنا أتحلل وأتفتت ببطء.*

فجأة أظلم نصف المشهد الذي كانت تتفرّج عليه، وأصبحت غير قادرة على رؤية ريتشي الذي كان واقفا إلى اليسار يصيح فيما تتأرجح أذنان تحت ذقنه، تسمع إليزابيث صوت شيء يسقط فتنظر إلى الأسفل لترى... مقلتها على الأرض!... تمدُّ يدها وهي تفكر: *وجدتُ عيني!.. أخيرا*، قبل أن تهوي كفها وتحتضن العين، *لقد انفصلت!... يدي سقطت*!... تفتح فمها لتصيح فيقع لسانها على اليد!...

تحاول الهرب راكضة فتجد نفسها تقفز على ساق واحدة، *لقد فقدتُ ساقي!...* انفصلت دون دمٍ ولا ألم، فجأة تُدرك ما يحدث، ما اعتقدَتْه طوال حياتها صحيح، إنها تتفكك، تتفتت، أطرافها تتساقط كأوراق شجرة في الخريف...

- ((إليزابيث ماتت، الدور على ريتشارد جاكسون))، قال جورج وبدأ يتخيله...

حين فتح جورج عينيه مجددا كان قد قتل بخياله الجميع، أطباءً ومرضى وحُرّاسا بلا تفرقة، *أخيرا سيتوقفون عن إزعاجي*، فكّر في كلِّ المتنمرين الذين سخروا منه طول حياته، وقال : ((سأقتلهم جميعا ما إن أخرج من هنا، وسأقتل أيضا ذلك الضابط اللعين، وتلك المحامية الساقطة، هذان بالضبط سأُعدُّ لهما أبطأ وأشنع ميتةٍ على الإطلاق)).

عليهم اللعنة! فليموتوا جميعا فقد سئمتُ الجنس البشري بِرمّته، لو كان لدي زر لإبادة كل إنسان على وجه الأرض الآن لضغطت عليه، حان الوقت لتجسيد فلسفة العدمِيَّة التي تبنَّيتها، لا معنى لأي شيء ولا مغزى، لا حكمة ولا غاية ولا هدف، كل شيء صدفة، كل شيء منشؤُه الطبيعة التي تتخبَّط

كالسكارى في الحانات، لا تدري ما تفعل، ولا تعي ما تصنع، ولا تعبأ بي ولا تبالي بأي أحد آخر، لن تكف الأمواج عن التلاطم حتى لو غرقت في البحر ألف سفينة تيتانيك، وكان بها ألفا عشيق يتعانقان، البحر لا يأبه للحب، لن تفتأ الزلازل تهُدُّ المباني وتهدمها حتى لو كان فيها عشرات الرضع كلهم في أحضان أمهاتهم المولولات يبكين، الزلزال لا يكترث للبراءة، لا قيمة لوجود شيء من عدمه، وقتل الأطفال، وذبح الشيوخ، وتساقط الذباب ضحية للعناكب، واحتضار الفئران في الفخاخ المنزلية، كل هذا يتساوى، كل هذا يتشارك في " اللّا قيمة"، في الصفر. كيف تؤمن بالإله والشرِّ منتشر سائد في الكون هكذا؟ هذه هي " معضلة الشر " التي أتحدى أيَّ مُتديِّنٍ أن يجيب عليها.

همس صوت داخله : لعل لذلك الشر غاية، لعل له حكمة، لعله ابتلاء، أو ربما هو عقاب، لو لم يكن في الحياة معاناة لفقدت الجنة قيمتها وبخست وحقُرت حتى يُهزأ بالعابد الناسك ويقال له وسط نخير السخرية وضحكة الاستهجان : ((لماذا تُرهق نفسك عبادة يا هذا؟ تريد أن تنال الجنة وأنت في ظلالها تتفيَّؤُ بالفعل؟))، ثم ماذا عن الخير الموجود في العالم؟ لماذا تتعامى عنه ككافة الملحدين؟ ثم ماذا عن حقيقة أنك تستطيع أن تتخيل أكوانا وعوالم أكثر شرًّا من هذا بكثير، ماذا عن عالم يستيقظ الناس فيه وأعينهم مقلوعة كل يوم؟ فيهُبُّون من أسِرَّتهم ليُفَتِّشوا صارخين عن أعينهم ليعيدوها جراحةً إلى محاجرهم، ماذا عن عالمٍ فيه الجماد يصبح عاقلا ومتحركا أحيانا؟ تخيل ما سيفعله بك بيتك، تخيل ما سيفعله بك السِّكين، لا، بل تخيّل ما سيفعله بك المرحاض! أنت تُدرِكُ أنك تستطيع التفكير في ألف عالمٍ ألعن من الذي نعيش فيه فلماذا لا تعترف - يا جاحد النِّعمة وناكر المِنَّة - بأنَّ هذا الكون ربما هو الأفضل لنا، والأرحم بضعفنا، والأرفق بهشاشتنا.

أجاب ذاك الصوت الذي لا ينفكُّ يُقلِق راحته كلما تذكَّر إلحاده مُخرِسًا إياه :
((اسكت عليك اللعنة، ليس هناك أيُّ دليلٍ **علميٍّ** على وجود الإله ناهيك عن الجنة، ولا توجد غايةٌ تُبرِّرُ وجود الشر، أما تلك الأكوان الألعنُ المتخَيَّلةُ فما هي إلَّا احتمالات لا متناهية أجرت **الطَّبيعة** قرعة بينها، واختار **الحظُّ** لنا منها هذا العالم، فما هذا الوجود إذن إلا **صدفةٌ** بحتة)).
قال لنفسه في ثقة من أنَّ حججه دامغةٌ داحضةٌ، ثم عاد إلى فكرة الإبادة الجماعية التي زارته وراح يقتفي حبلها من جديد :
أجل، وجود الإنسان كعدمه، بل في الحقيقة قد يكون زواله أحسن، فنحن السبب في انقراض الحيوانات، وتقطيع الغابات، وتلويث المياه، ومحو الحياة النباتية كليًّا بالقنابل النووية، ثقب الأوزون نتيجةٌ مُتوقعةٌ لأفعالنا الأنانيَّة فنحن مستعدُّون لِفعل أي شيء في سبيل زيادة سرعتنا وقوتنا
وثروتنا،وليذهب كوكب الأرض بنظامه البيئي إلى الجحيم، الإنسان كائن أناني والأرض في حاجة للخلاص منه، لو كان لأحدنا قدرة سليمان ذلك النبي المزعوم، فماذا تحسب الحيوانات ستقول له؟ ستصرخ قطعان وحيد القرن مطالِبةً بخوزقتنا، وثيران المصارعةِ ستتمنى رشقنا بالسهام في إعدام علني، والأفيال ستمنح جائزة عاجِيَّة لمن يخترع آلة تقلع أسناننا كلها دفعة واحدة، لا شك لدي في أن جميع الحيوانات ستتّفق على وجوب إعدامنا، الشيء الوحيد الذي سيختلفون حوله هو الطريقة، فكلٌّ منهم سيحاول الإتيان بطريقة أكثر بشاعة، حسنا، لقد قرّرتُ، الموت للجميع، أنا الانقراض على قدمين، وسأبدأ بالإبادة ما إن أخرج من من بابي هذا.

خطا إلى باب الحمّام وهو يعتقد أن الأرضيّة ستكون حمراء زلقة بالدّم، ومفروشةً بالجثث حتى أن السَّير عبرها سيكون عسيرًا، فتح الباب متلهِّفًا لإلقاء نظرة على اللوحة الدموية التي رسمها و...

رأى جايسون وجيمس!!!... لا زالا حيَّينِ يتنفّسان!... كيف؟!!...

قال جايسون وهو يحكُّ مُؤخِّر رقبته : ((أنا آسف يا جورج، أرجو منك الصفح، لا أريد ضغائن مع أحد فأنا أخطِّط لقضاء بقيّة أيامي هنا بسلام)).
قال جيمس بعده : ((أعتذر يا فتى... قلت لك أني لا أتحكم في هذا الهوس بأكل الأشياء، والأوراق لذيذة حقًّا!... ألديك أوراقٌ بيضاء فارغة؟!)).
لماذا لم تعمل قدرتي؟... سأل جورج نفسه، *لقد قتلت بها جوناثان وجيمس وويتني فلماذا لم تقتل هذين؟!*

((تبدو ممتقعًا، ما بك يا جورج؟))، سأل جيمس وهو يتمعّنه بنظرات قلقة.

أجاب جورج وهو يفكر: *لقد ذبحتك أيها التيس! عليك أن تكون جثة الآن!..* :
((هل كلهم أحيا...؟ أقصد... ماذا يفعل الآخرون؟)).
أجابه جيمس في حيرة : ((لقد تدخّل القصير والطويل لتهدئة الأمور قليلا، ثم تراجعا مجددا... ريتشارد يغني الآن، وقد بقي عشر دقائق على نهاية السهرة وعودتنا إلى الزنازين مجددا، هيا، أسرع)).
((أظن أن عليّ أن أدخل الحمّام مجدّدا، إنه الإسهال...)).
أجابه جيمس في حيرة : ((لقد تدخّل القصير والطويل لتهدئة الأمور قليلا، ثم تراجعا مجددا... ريتشارد يغني الآن، وقد بقي عشر دقائق على نهاية السهرة وعودتنا إلى الزنازين مجددا، هيا، أسرع)).
- ((أظن أن عليّ أن أدخل الحمّام مجدّدا، إنه الإسهال...))
قال جايسون مبتسما : ((لا عليك، أراك فيما بعدُ إذًا... واسمع... أنا وجيمس أُعجبنا حقا بكتاباتك، ريتشارد سينال عقابا على فِعلته، أعِدُك، وداعا)).

أغلق جورج الباب مجددا وهو لا يعرف بماذا يشعر تحديدا؟... أهو الغضب لأنهم ما زالوا أحياء؟ أم أنه العجز لأنّه فقد قدرته؟ أم أنها الراحة لأنَّ عليه ألّا يقلق بشأن تحقُّق تخيُّلاته مجددا...

همس ببطء : ((لقد تخلّصتُ من اللعنة))، قالها دون مشاعر على الإطلاق، ثم تخلّلت ابتسامة وجهه : ((أستطيع الآن أن أتخيل ما أشاء دون الخوف من وقوعه، أستطيع حتى أن أتخيّل هارونا وهي تُقتَلُ دون أن أخشى شيئا!)).

وقف أمام الحوض وشرب القليل من الماء، ثم ابتسم في سعادة وهو يراقب الكآبة تهجر وجهه، *سأخرج من هذه المِصحّة وأعود إلى المنزل مجددا، أخيرا...*

أدار ظهره للمرآة وفكّر: *ماذا لو أني لم أقتلهم؟... جوناثان وجيمس وويتني، ماذا لو كانت هذه مصادفة حقا؟... هل يعني هذا أني حوكمتُ ودخلت المصحة هباء؟... كنت أحمق حقا حين اعترفت... يا لي من أحمق!... يا لي من غبي!.. يا لي من أبله!.... كيف صدّقت أني أقتل الناس بالخيال؟!... كيف؟!... لا وجود لشيء اسمه قتل الناس بالخيال، هذا يحدُث في الأفلام والروايات فقط ولا تأثير له على الواقع...*

اتكأ إلى الحوض بفخذيه وقال لنفسه : *على أيَّة حال، أخيرًا سأغادر المصحة، وأعود لحياتي الطبيعية، ولن أعتقد أبدا مجددا بالخرافات والأوهام كالشياطين والملائكة والأفكار القاتلة... كلها خرافات غير حقيقي...*((آخخ!)).

بدأ جورج يختنق بعد أن تهشّمت المرآة خلفه فجأة، كافح ليتنفّس وهو يشعر بأظافر طويلة تنغرس في عنقه، وقبضتين قويّتين تُطوِّقانه، ومن خلفه أتاه الصوت الذي يعرفه حق المعرفة : ((مُت أيها القاتل!.. هذا ثأرٌ لجيمس وجوناثان أيها الجبان الذي لا يقاتل بقبضتيه، هيا، هيا، أسرع ومُت)).

تمت بحمد الله

خاتمة

أهلا قرائي الأعزاء، كان متوقعا مني أن أعرّفكم بنفسي في المقدمة، ولكني كنت في ذاك الوقت أهتم ببعض الشؤون الخاصة (بلهجة المافيا)، أنا... نذير.

نذير كروشي، مصاص الدماء، وآكل لحوم البشر، وقاتل الفتيات!... مجرد شخصية خيالية؟... أجل، ولكن الخيال يقتل كما لا بدّ تعلمتم من هذه الرواية، المهم أن صديقا لي أوصاني أن أطلعكم على بعض الملاحظات، إنه في غيبوبة ولا يستطيع قراءتها عليكم بنفسه لذا ها هي الملاحظة الأولى والوحيدة...

" المحاكمة " فصلٌ لا يُعتمد عليه كمرجع في القضاء، في الحقيقة لو قرأه أيُّ محامٍ أو قاضٍ لانفجر ضحكا واستخرج خمسين خطأ قضائيا منه، لقد بذلتُ وسعي في البحث، شاهدت محاكمات لقتلة، وبحثت عن المحامين،

ماذا يفعلون خلال المحاكمة؟... كم يكلِّفون؟... من هو أشهرهم؟... إلخ، حتى أني دعوتُ خالي إلى المنزل ليوضّح لي بعض النقاط، ومع ذلك ستجدون ذاك الفصل لا زال ناقصا من ناحية القضاء والذي يضفي الواقعية على القصة، لذا أيها القارئ العزيز إياك أن تعتبر شيئا من سير" المحاكمة " حقيقة دون التأكد من مراجع موثوقة.

الكاتب : سعيد

حسنا... هذه رسالته وها قد فرغت من قراءتها...

الحناجر بالخناجر... أوبس!... لا زلتم هنا تحدقون بي؟ لقد سمعتم الرسالة بالفعل فماذا تنتظرون؟... أوه، مهلا، لدي شيء خاص لكم... أترون؟ هذه مطرقتي الثقيلة الضخمة، تقدموا ولا تخافوا، فهذا مجرد دمٍ على حديدها!... دمُ أحدٍ هشّمتُ رأسه بها، الآن أغلقوا الكتاب واغربوا قبل أن تمتزج دمائكم معا!!!

رواية

فكرة قاتلة

جورج فتى نجيب مجتهد ينجز واجباته المنزلية ويراجع دروسه. طالب عادي هو. لا بد أنك تفكر: قصته إذا ستكون مملة حقا. ولكن مهلا.. نسيت أن أضيف شيئا.. جورج يعترف بتخيل زملائه يُقتلون. جورج يعترف بأن خياله هو سلاح جرائم القتل المروعة التي وقعت. تعالوا معنا نرافق جورج في خضم هذه الأحداث الكابوسية التي تدفعه لحافة الجنون. تعالوا معنا نراقبه إذ يهز رأسه بعنف محاولا طرد الخيالات الدموية التي تطارده. تلك الخيالات التي تتحقق فتخلّف كومة من الجثث تنتظر الدفن والتأبين. تعالوا معنا نتعرف معه على بعض من أغرب الأمراض النفسية طرا. جورج الطالب النجيب يستطيع بخياله المريض الخصب أن يُميتك ويقتلني ويبيد البشرية جمعاء. الأسلحة النووية تبدو مسدسات ماء بالمقارنة. الزر الأحمر أمامه فهل سيضغطه؟

افتح الكتاب لتعرف الجواب.

أدلبس للنشر والترجمة والتصميم

تصميم الغلاف: ساخر أحمد